سيد عبد الرازق

أحمر. أزرق

نصوص مونودراما



سيد عبد الرازق

أحمر.. أزرق

نصوص مونودراما

للتواصل: WhatsApp: +2 01004501595 - Sayedma239@gmail.com



راقص الفلامنكو

الفائزة بجائزة أحسن نص مونودراما بالمهرجان الثقافي الوطني للمونولوج والفنون المسرحية، الجزائر(٢٠٢٥)، وبجائزة أحسن نص مونودراما بمهرجان ألتيسيرا الدولي للمونودراما، أداء جمعية المقهى الثقافي تندوف الجزائر، تونس (٢٠٢٥)، وبجائزة المونودراما مهرجان شرم الشيخ الدولي للمسرح الشبابي، جائزة التأليف المسرحي، الدورة السادسة، دورة يسري الجندي (٢٠٢٢).

(المسرح مظلم، تضاء بؤرة في وسط المسرح، رجل ثلاثيني مقيد يعطي ظهره للجمهور، يسمع صوت دوي رصاص، يلقي رأسه جانبا ويموت، يظلم المسرح)

**

(يضاء المسرح خاليا تماما من كل شيء، يدخل الرجل يطوف بالمسرح جيئة وذهابا مترقبا، ينظر إلى الكواليس يمينًا ويسارًا بحذر، حتى يصل إلى وسط المسرح، يرقص رقصة الفلامنكو ثم ينفجر ضاحكا...)

قلت لهؤلاء المجانين إنهم لن يجدوني، منذ تلك الرصاصة التي سكنت في **(يفتش في جسده)** لا أعرف على وجه التحديد أين سكنت فقد كنت ميتًا حينها.

كل ما أذكره أن الأوغاد التابعين لـ"فرانكو" اقتادوني ومجموعة من هؤلاء الذين لا ناقة لهم في الأمر ولا جمل، تعبير عربي جميل، **(منظِّرًا)** دائمًا ما كنت في كتاباتي أجنح

للتعبيرات العربية، وربما كان هذا سبب قتلي، لقد قلت يومًا إن دخول الإسبانيين إلى غرناطة كان يوم شؤم، وإن حضارة رفيعة بادت لتحل محلها قرى أكثر فجاجة **(يفكر في السجع)** و... لجاجة و... سماجة و...، وربما لأن زوج أختي كان من اليساريين المعروفين في مجلس النواب الإسباني... تعرفون أن المرء في زمان ما ومكان ما قد يناله العقاب لمجرد النسب أو اللون أو الدين أو العرق أو الجنس... **(يضع يده على فمه ويشهق)** ربما اعتبروني معاديًا للإسبانية.

(متقمصًا دور المحلل السياسي)

لكن لا أظن...

أظن أن الأمر متعلق بأسباب أخرى أكثر حساسية وشمولية وتركيبًا وترتيباً وتأثيرًا، الأمر الذي دعى وساعد وبارك وبرر لقَتَلَتِي أن يلجأوا إلى مشروع التخلص مني دون تفكير، على الرغم من أن المشاريع تخضع لعوامل عديدة منها التفكير والتخطيط والمبادرة والتنفيذ والتقييم والمراجعة والتقويم و...

(بملل) ما هذا لقد أصبحت ثرثارًا جدًّا بعد الموت، المهم أنهم لم يعطوا المسألة كثيرًا من الوقت... القرار... ثم... **(يشكل أصابعه كمسدس)** تِكْ وانتهينا.

(يتجول في المسرح)

حسنًا ما الذي أحتاجه في هذا السكن الجديد؟...

آه كتبي، لا غنى لي عن كتبي، أين تركتها آخر مرة؟

(يخرج إلى الكالوس ثم يعود محمَّلًا ببعض الكتب على مقعد، مدندنًا وهو يرتب الكتب على الأرض)

هكذَا يُصبِحُ موتِي مُدهِشًا.. عانِقِيني قَبِّلِي عَينَيَّ وامْضِي

عجبًا! الموت يعطينا حريَّة غريبة، فأنا إسباني، ولدت في غرناطة، وبعد عمر من الألم والكتابة والتجوال والترحال قالوا:

(يخرج نظارة من جيبه، يأخذ وضعية مذيع الأخبار ممسكًا ببعض الأوراق)

وقد لقي الفقيد مصرعه في التاسع عشر من أغسطس عام ألف وتسعمائة وستة وثلاثين إبان حركة فرانكو التي قادها ليعيد إلى إسبانيا مجدها التليد بعد أن وقعت ضحية للعنف والعنف المضاد. أما عن الفقيد فقد سقط لتشابه اسمه وشكله وعمره مع اسم مطلوب آخر (**بإيقاع بطيء**) وهذا يحدث كثيرًا أثناء الحروب

(يتأوه ثم يلقي الأوراق، يمسح وجهه، يلاحظ النظارة فيلقيها جانبا)

صراحة لم يقولوا الفقيد أو الشهيد أو حتى البليد.. الحقيقة أنه لم ينشر أحد عني حينها أي شيء. كان الجينرال فرانكو قابعًا على أنفاسهم كما يقبع الشريط اللاصق، ثم توالت الأحداث

(يبدأ في التقافزوكأنه يعلق على مباراة كرة قدم)

تمردت المحمية الإسبانية في المغرب ... ثم تمردت بامبلونا... ومنها إلى بورغوس... ثم تداعت سرقسطة... وها هي بلد الوليد على المحك... الآن الدور على قادس، ثم على

قرطبة... ومن قرطبة إلى إشبيلية... سقطت إشبيلية... ثم سقطت الحكومة... ثم ها هي الجمهورية الإسبانية الثانية... ستسقط، ستسقط، سقط اااااا ت،

(يصفر ويتجه لأسفل يسار المسرح ويرقص كلاعب كرة قدم)

هدف، هدف، هدف... فرانكو واحد وأنا وإسبانيا صفر...

(صمت)

الجميل في الأمر أنهم حين سئلوا عن فعلتهم قال فرانكو:

(يبدأ في النحيب)

لقد وقع ضحية للحرب، وعادة يسقط في الحروب بعض البرءاء.. ااااء الذين لا ناقة لهم ولا جمل... **(يتوقف)** لا إنني هكذا أكرر نفسي.. **(متباكيا مرة أخرى)** البرءاء ااااء البسطاء ااااء اللطفاء ااااء.. لا لقد أصبح ظلي هكذا ثقيلًا جدًّا، أما عن الآخرين فقد قالوا: لقد قتله الجينرال فرانكو لأنه...

(يدور حول المقعد في دائرة كأنه يوجه اتهامات بأصوات مختلفة)

يساري / جمهوري / شيوعي / اشتراكي / أناركي / منحاز / متورط / شاعر / مسرحي / غارق من رأسه إلى إصبعه في خيانة إسبانيا/ **(هامسًا)** مِثليّ **(يدور حول نفسه، ينظر إلى مؤخرته، ويجلس على المقعد)** أنا؟! مثلي؟!

(يتباكى، ثم فجأة يعود لترتيب الكتب)

لكن لا يهم فأنا الآن بعيد عن أيديهم وأتغنى بأغنية عربية صدرت عام ألفين، قوة خارقة هذا الموت، يجوز بنا العالم زمانًا ومكانًا دون قيد أو شرط أو حاجز أو سد أو.. أووه عدنا إلى الثرثرة من جديد... هكذا لن أنتهي من الترتيب قبل المساء... ولكن أي مساء أنا لا أعرف إن كنت في المساء أو الصباح أو الظهيرة، على كل يجب أن أنتهي من الترتيب قبل **(محتارًا)**... قبل أي شيء، أين أضع هذا المقعد؟

(يتلفت في المكان، وينقل الكرسي مرارًا)

هنا.. لا لا.. بل هنا.. هنا أكثر ذوقًا.. ما هذا السخف.. هنا أفضل بكثير.

(يجلس أخيرًا عليه ويمسك أحد الكتب، يتصفحه)

لا أدري أين كان عقلي وأنا أكتب للعالم تلك الكلمات الشوهاء أو العرجاء أو الصماء أو البكماء، لا لا إنني أظلم نفسي كثيرًا بهذا الوصف، بل إنها كانت **(مُنَظِّرًا مرة أخرى)** تستشرف المستقبل، وتنظر بعين ثاقبة إلى إسبانيا ما بعد فرانكو، ولقد تنبأتْ بزوال الفاشية واندحار هتلر وحلفائه في الحرب...

(يلقي بالكتاب جانبا)

ما هذا الكذب الواضح؟ لا أعرف سبب جنوح الشعراء والكتاب دائمًا إلى أن يتحدثوا عن المستقبل وأن يضعوا نبوءاتهم الشخصية في كتاباتهم زاعمين أنها جزء من الإلهام، صراحة... **(هامسًا)** نحن كذابون جدا... الكتابة عن النبوءات ثدي متدفق لا يتوقف عن إدراره أبدًا.. فإن صادف وحدثت النبوءة فنحن أهل كشف واستشراف

ورؤيا ورؤية مغايرة وقراءة عبر الوعي السابق على العصر إلخ إلخ إلخ، وإن لم تتحقق نتذرع بأن الموت عاجلنا وأن المستقبل يحمل في رحمه نبوءاتنا... وحينها سنكون متنا كما أنا الآن ولا يهم إن حدثت أم لا.. لا يهم.. وربما كانت نبوءاتنا متأخرة وثرثارة ولا شيء آخر... **(متأففًا)** أووه الوقت يمر... وما زال أمامي الكثير لترتيب مثواي الأخير أو ليس الأخير، حسب هؤلاء الذين يقلبون الأرض بحثًا عني زاعمين أن لديهم حمضي النووي...

وإلى أن تحين هذه اللحظة لا بد من ترتيبه بشكل لائق... **(يفكر)** ما الذي أحتاجه أيضًا؟

آه المسدس

(يخرج إلى الكالوس في الناحية الأخرى ويدخل حاملا مسدسًا عتيقًا، بغضب وتوعد)

هكذا لن أنسى من قتلوني أبدا، سأضع هذا المسدس دائمًا أمامي، سأجلسهم هنا واحدًا واحدًا وأحاكمهم على ما فعلوه..

ما ذنب أختي كونشا وهم يقيدون معصميها بعد أن أبرحوا والدي المسن ضربا؟

كانوا يلطمونها **(يجسد المشهد)** انطقي... أين ذهب أخوك اللعين... هل يظن أنه سيتوارى عن عيوننا ولن نصل إليه؟ لقد أصبح لإسبانيا جند يسهرون على حمايتها من الأوغاد الخونة مثل أخيك. لقد انتصر القوميون في النهاية، كتائب الفالانخ ترشق بالدم من يرشق إسبانيا حتى بالكلمة. لقد انتصرنا رغم ما حاكه أخوك البغيض وأمثاله من مؤامرات ضد الدولة.

(يُسقِط المقعد على الأرض ويضع رجله عليه كأنه يضعه على رأسها)

سفلة وضيعون... ما الذي لم يعجبكم؟... الانضباط، القيم الكنسية المحافظة... تريدونها دون ضابط أو رابط... أيها المتفَلِّتون الخونة

(يهوي على رأسها بالمسدس فينكسر جزء منه)

(يعود لطبيعته) ما الذي فعلته الآن؟ يا لغبائي.. كيف سأحتفظ به مكسورًا؟ ليس مهمًّا، المهم أن أحتفظ به لوقته.

(يتلفت يمينًا ويسارًا) ماذا تبقى؟ أشعر أنني نسيت شيئا... أو ربما أشياء لا أعرف... نعم تذكرت **(يتعثر وهو في طريقه للخروج، ويسقط)** ثانية؟!

(يعود وهو يدفع البيانو العتيق إلى يسار المسرح)

ألن أتخلص من هذه الأمور السخيفة... في الماضي سلمنا للأمر الواقع ولكن لماذا الآن؟

أخبرتني أمي أنني لم أتكلم حتى الثالثة **(يتلعثم)** أمـ أممـ مي.. ولم أمش حتى الرابعة

(يحرك أقدامه وهو يدفع البيانو بصعوبة بالغة)

ربما لهذا حينما قتلوني وأنا في الثامنة والثلاثين من عمري كنت قد سابقت الأيام بعد أن انحلت عقدة لساني وقدمي وجبت إسبانيا، بمدنها وقراها وأحيائها،

(يطوف المسرح وهو يرقص الفلامنكو)

غرناطة، فوينتي فاكيروس، أسكيروسا، حي السكرامنتو الغجري... **(يتوقف)** آه لأغاني الغجر.. إنها تبعث الأندلس من جديد، **(يعود للرقص)** البيازين، مقهى ألاميدا

(يجلس على الكرسي أمام البيانو، ويعزف عزفًا نشازًا وهو يتغنى بأسماء المدن ومعالمها)

مدريد، البرادو، أتنيو مدريد، الرتيرو.. **(يتوقف عن العزف فجأة)** فيثنار وألفاكار

(يضرب بأصابعه العشر على البيانو، يسقط على الأرض للحظات، ثم يتدحرج)

هكذا في كل إسبانيا كان لي موضع قدم... **(بحنين كبير)** يالها من أيام... ويلي لقد نسيت أهم شيء

(يخرج إلى الكالوس، ويعود ومعه منديل نسائي، يضعه على البيانو، ويبدأ في النقر على أصابع البيانو بهدوء)

آه يا آن ماريا... لم يكسرني في هذا العالم غيرك... هل كنت بعيدًا عن قلبك إلى هذا الحد... **(محتدًّا)** أنا لست وغدًا أو وضيعًا... أنا لم أبع مبدئي يومًا يا آن... لقد كرهت فرانكو وهتلر وموسوليني وما زلت أكرههم وسأكرههم حتى أموت..

ما هذا العته أنا ميت بالفعل، ليس مهما... المهم أن الحياة الآن جميلة بعد أن قضوا جميعًا... أنت لا تقلّين عنهم جُرمًا... لقد استعمرت قلبي، وزرعت راياتك الفاشية فيه، ثم ما لبثت أن تركته للفوضى والجراح والآلام... تركته خلفك جثة هامدة عفنة ينهشها دود الأيام وتحرقه إسبانيا بلهيبها... ماذا لو أنك أحببتني يا آن؟!

(يصدر نغمة ناشزة طويلة، مُنَظِّرًا)

الحقيقة أنه من الجميل أنك تركتني، صحيح لقد وقع قلبي تحت تأثير هزة قلبية بمقياس ثمانية على مؤشر

ريختر، لكن لولا صفعتك لقلبي لما استطعت الاندماج والتفاني والانخراط والانشغال والإخلاص للعمل.

(يلقي المنديل من على البيانو)

موتي بغيظك يا آن **(يخرج للمنديل لسانه)**، تعبير عربي جميل آخر. لقد كان لك الفضل بهجرانك الفظيع المريع الشنيع أن أتبنى فكرة المسرح الذي يجوب إسبانيا، حتى لا أفرغ لتذكر وجهك الدميم، أيتها الشمطاء...

(متباهيًا) ليس المسرح فحسب ولكن للوحاتي التي لم تكن قد اكتملت، ها هي تلقي بثقلها في جاليري دالماو... أشعر أنني لو كنت أكملت مسيرتي في مسألة الرسم هذه لربما كنت تفوقت على أخيك النرجسي سلفادور دالي... ربما كانت لي ريادة السيريالية في هذا العالم المقيت...

(يلتقط المنديل من الأرض، بغضب شديد)

هل تظنينني أكذب؟ **(بهدوء تام)** حسنًا أنا كذبت هذه المرة فعلا، لكنها ليست المرة الأولى التي أكذب فيها

(يتجه إلى الكتب، ويبدأ في مسحها بالمنديل)

في الوقت الذي أرسلني فيه والدي "دون رودريغيز" لدراسة الحقوق **(يتلفت حوله، هامسًا)** كنت أدرس أنا كلية الآداب، وعلى كل أنا لم أفلح لا في هذه ولا في تلك. إنها حياة مريعة تلك الحياة التي يتعلم أصحابها فيها فن الحياة من الكتاب. الحياة تجربة والكتابة تجربة والشعر تجربة والمسرح تجربة، لا يتسور الحياة إلا من لم يستطع أن يرغمها على أن تفتح أبواب أسرارها له، فيعيش على حافة غلافها منتظرًا، وإن تجاسر يومًا على تأملها فهو يتأملها بعيون كاتب آخر أو رسام أو ملحن، تبًّا لهذه الحياة التي تختبئ خلف ألف قناع.

(ينتبه لما يفعله بالمنديل)

ما الذي أفعله؟ أشعر أنني أفسد كل شيء **(يضع المنديل بعناية شديدة مكانه على البيانو)** عودي يا حبيبتي إلى مكانك

(يرجع خطوات يتأمل فيها المكان)

ما الذي لم أحضره؟ هل أنا مصاب بالألزهايمر؟ يبدو أنني كبرت في السن؟ ما هذا إنني ابن ثمانية وثلاثين فقط، المسألة هي الإجهاد وقلة النوم، أو قلة الموت لا أدري

(يجول ببصره، ثم يخرج، ويعود محمَّلًا بحقيبة بها بعض الدولارات، يخرج بعض الدولارات)

آه ليتك كنت حقيقة أيتها الدولارات، كنت لن أبقى هنا طويلا تحت رحمة هؤلاء

(يبدأ في وضع الدولارات في مكانها وهو يدندن الأغنية الشعبية)

آه لو لعبت يا زهر، واتبدلت الاحوال... وركبت أول موجة
في سِكِّةِ الأموال

حين كنت في نيويورك أزعجني جدا ما رأيت في أهم شارع في العالم يتلاعب بالدولارات.. وول ستريت.. حقيقة لم تكن نيويورك كما توقعتها أبدا، فأنا ذلك الشاعر الغرناطي الريفي البسيط، ونيويورك المدينة الصاخبة، مدينة

الحديد والنار، **(هامسًا)** التي تعبد الدولار، ناطحات سحاب تكاد تخترق السماوات، حفلات صاخبة ومدينة لا تنام...

(يمثل دورالساحر)

لكن هذا الوجه السريع الإيقاع والممتلئ بالبهرجة يخفي وجهًا آخر من القسوة والغلظة... نيويورك... التي يعرفها الزنوج في حي هارلم وهم يموتون من أجل اللقمة والعدالة والمساواة.. **(يعود للتنظير)** ألم أقل إن الغريزة الإنسانية قد تصطدم مع الحضارة المادية؟... **(متعجبًا يهرش رأسه)** ماذا... ألم أقلها من قبل؟ **(يتفحص الورق الذي كان ألقاه)**.. حسنًا لا يهم فها أنا أقولها الآن، وبكل صراحة لقد استفدت منها أيما استفادة

فقد صورت كل ما رأيت في ديوان شعري، نعم قد يكون الشاعر نفعيًّا بعض الوقت، وقد يستفيد من كل شيء حتى الأشياء التي يكرهها ويبغضها ويمقتها ويعاديها،

هكذا نحن الشعراء الأشياء المتضادة والتي تكره بعضها نجعلها أصدقاء... **(يتأمل المسرح)** والآن ماذا بعد حقيبة الدولارات؟... ماذا أيضًا؟

(يخرج، ويعود بمحرمة حمراء لمصارع ثيران)

أين سأضعك؟ لا أذكر على وجه التحديد، لكن في المنتصف ستبدين جلية وواضحة.

لم أفهم يومًا الحكمة من مصارعة الثيران، ما الذي قد يثبته المرء لنفسه في تلك الحلبة الدموية القاسية؟ هل هو تحد سافر لقوى الطبيعة؟ أم درس أخلاقي مدرسي في أن العقل قد يتغلب على القوة؟ **(متحسرًا)** أم أن الحياة لا تحلو إلا بالمجازفة في وجه الموت؟... الموت الذي خطف زوج أختى كونشا لا لشيء سوى لقناعاته الشخصية، والذي كانت رصاصاته محفورة في مخزن الغلال في بيت عمي

(يتربع على الأرض ويغني وكأنه يعزف على جيتار)

كان يا ما كان... في ليالي غرناطة الباردة

أن أتى لصان.. يهربان كالغزالة الشاردة

أحدهما مثقل بالجراح

وثانيهما مكسور الجناح

وخلفهما الحرس المدني يخوض الظلام شاهرًا للسلاح

في مخزن الغلال.. والساعات الطوال

مات ذو الجراح.. ليسقط الآخر في يد السفاح

قتلوه رميًا بالرصاص دونما محاكمة

وحينما اعترض العم الغبي

(يتوقف عن الغناء) علموا وجهه فنون لعبة الملاكمة

يالها من معادلة تلك التي تضعك في المكان الخطأ والزمان الخطأ، "إجناثيو" صديقي كان قد اعتزل مصارعة الثيران، لكن الغريزة الإنسانية... لا ليست تلك التي تقف في وجه الحضارة المادية، بل تلك التي تحن لهتاف الجماهير

(يبدأ في التحرك لوسط المسرح)

وصيحات المعجبين كالممثل الذي يتقدم بشغف إلى وسط المسرح منتظرًا من جمهوره تصفيقًا حادًّا، وصفيرًا يصم الآذان، وهم يهتفون باسمه مدويًا، وتتراشق على وجهه فلاشات الكاميرات، يمسك بيد فرقته المسرحية وينحني أمام جمهوره العظيم

(ينحني للجمهورثم يتحرك للخلف)

ثم يتراجع ويتراجع إلى أن يكون نقطة صغيرة جدًّا لا في عين الجمهور وحده، بل في عين النقاد والمنتجين والمخرجين حتى في عين زملائه الذين كانوا يقاسمونه اللقمة والشقاء، يتراجع لأن الزمن دار دورته كما دار على إجناثيو في الثالثة والأربعين ليقبع في ظلام المسرح خلف الستار وقد انفض العرض.

إجناثيو لم يكن صاحب الحلبة لكن مصارعًا آخر ترجاه أن يحل محله وقد كان... وربما كان فرانكو محقا في أن موتي كان مجرد تشابه أسماء، على كل الثور الأسود أو فرانكو أو الحرس المدني، تعددت الأسباب والموت واحد، **(مبتسمًا بحزن)** إنه التعبير العربي الثالث لهذه

الليلة، يبدو أنها ليلة حافلة بالمعاني والمرادفات والتراكيب والتعبيرات والاستشهادات العربية

(فجأة يضرب على فخذه)

الثرثرة... الثرثرة... ما هذا الإيقاع البطيء، المهم... ها أنا وصديقي إجناثيو واللصان نتشارك نفس المصير، هو يقتله الثور وأنا يقتلني فرانكو، واللصان يقتلهما الحرس المدني، جميعنا تحدى قوة لا قبل له بها، الحبر في مواجهة البارود، والمحرمة الحمراء في مواجهة قرون الثور الغاضب، والقانون في مواجهة الغابة، ولأني أوقن أن الشعراء نفعيون فقد استغللت حادثة موته وصغتها بالطبع في إحدى قصائدي، بل إني وضعت حكمتي حول الموت في ثلاثية مسرحية، شهدت منها اثنتين قبل موتي والثالثة تركتها لعل مجنونًا آخر يحب الموت يقدم على تنفيذها

(يتأمل المسرح)

الآن أظن أنني جلبت كل شيء لسكني الجديد، وأنه ينبغي علي الخلود للراحة، فهؤلاء الذين يبحثون عن قبري وعن جثتي لن يهدأ لهم بال حتى يجدوني؛ لذلك أنا سآخذ قسطا من الراحة قبل أن أضطر إلى الهرب من جديد والبحث عن موضع آخر أنقل إليه كل آثاري كما كنت أفعل طوال اليوم..

حقا لا أعرف ما الذي سيفيدهم في رفاتي هؤلاء المجانين، هل سيجعلون من قبري مزارًا سياحيًّا، أم مقامًا صوفيًّا؟ ثم ما هذا التمثال الباهت الرخيص الذي أقاموه لي عند المقبرة الجماعية بين فيثنار وألفاكار؟

ألا تساوي ذكراي أكثر من تمثال زهيد؟ ثم إنه حتى لا يشبهني، **(متوعدًا)** لو أني أعرف أن هذا ما سيحدث كنت... كنت... اللعنة لقد مت وانتهى الأمر، ما الذي سيفيدني حتى وإن صنعوا لي تمثالا من البلاتين؟ سأرتاح قليلًا وغدا سيكون كل شيء على ما يرام

(يمدد جسمه على الأرض، ويمسك بالأوراق ليغطي بها وجهه، ثم يصرخ ويلطم بها وجهه)

لااااا.. ليس مجدَّدًا... يبدو أني في رحلتي للموت نسيت عقلي في أحد الزنازين الفاشية، أو ربما جاءت الرصاصة في عقلي ولهذا فأنا لا أكاد أتذكر حتى أنسى؟!... **(يتحسس رأسه من كل اتجاه)** ليس مهمًّا... المهم أني تذكرت

(يقوم ويخرج، ثم يدخل ومعه لوحة امرأة مسنة ترقص الفلامنكو في زي غجري، يتأملها ويحتضنها ويبدأ في الرقص)

آه أيتها الخالة لويسا.. لم أكن أعرف حين رسمت هذه اللوحة هل كنت أرسمك في غرناطة أم أرسم فيك غرناطة بتلالها وأنهارها وغجرها وأحيائها وحمرائها،

لن أنسى تلك الليلة التي رجتني فيها كونشا أن أختبئ في بيت لويس روزاليس، لم أكن أعرف أن لكونشا كل هذه القدرة على قراءة المستقبل، يومها أخبرتني أنها ترى مخالب تعدو نحوي، وأن ثمة خنجر خلف ستار نافذة الغرفة متوجه

إلى صدري، ضحكت وقلت لها إنها ربما أثقلت العشاء، الحقيقة أنها لم تكن تناولت شيئًا منذ يومين منذ جاءت كتائب الفالانخ الدموية واقتادوا زوجها إلى غير رجعة، اجتمعتْ مع أبي وإخوتي وقرروا أن أختبئ... لم يقنعني أحد إلا دمعة عينيها

(يتوقف عن الرقص ويضع اللوحة)

ولكن أختبئ... لماذا؟

أنا لم أنخرط يومًا في حزب سياسي، لم أترشح يومًا للانتخابات، لم أطرد من الجامعة لدفاعي عن أستاذ يساري مثل ما فعل سلفادور دالي ومع ذلك لم يقتل، لماذا أنا؟...

واختبأت... **(يراجع نفسه)** صحيح أنني ربما شاركت في فعالية للجمهوريين، وربما كان جل أساتذتي منهم، وربما شاركت في تكريم بعض رموزهم، أو وقعت على بيان ما أطلقوه مرة، لكنني لم أكن يومًا ضد إسبانيا، كان رفاقي يقولون إنه لو قامت حرب أهلية في إسبانيا سينجو منها

إسباني واحد سأكون أنا، فأنا لم أنحز يومًا لطرف على حساب الآخر، كنت دوما إسبانيًّا إسبانيًّا فحسب، فلماذا يقتلونني يا لويسا؟

(يعود يحتضن اللوحة ويكمل الرقص)

كنت أنت أيضًا إسبانية... إسبانية فحسب، لا جمهورية ولا قومية، بل ماء إسبانيا وترابها، كنت لي حضنًا حينما ضنت عليَّ إسبانيا كلها بحضنها.. لدرجة أن أهلي اقترحوا أن أتسلل خلف خطوط القوميين وأهرب إلى الأرجنتين أو الولايات المتحدة أو حتى كوبا

لم يكن لي كتف أستند إليه إلا كتف الخالة لويسا، حتى ابن أخيك لويس كان يخشى على نفسه مني...

(يضع الصورة على الكرسي ويحاول إقناعها)

الحقيقة معه كل الحق، تردده في استضافتي ينم عن ذكاء فطري، فهو إن قبل بي في بيته وقبضت عليَّ كتائب الفالانخ من جوف بيته ووسط أسرته التي كان أكثرها من

الفالانخ أنفسهم سيتهمه الجمهوريون بأنه سلم رأسي وقبض ثلاثين قطعة من الفضة ليعيد تمثيل مشهد يهوذا وهو يبيع المسيح، وإن هو أخفاني عن الفالانخ سيكون مجرمًا لأنه يتستر على مجرم هارب وربما عرض نفسه وعرضك أيتها الطيبة للموت أو على أقل تقدير للاعتقال وسخط القوميين مهدِّدًا مستقبل إخوته العاملين في الفالانخ كلهم.

آه يا لويسا لم يحببني غيرك، ولم يُنْسِني بُعدي عن أهلي غيرك، ولم يمسك كفي أحد حين كسر الفالانخ الباب ليقتادوني غيرك، **(متبسما بحزن)** ما زالت آثار خربشات أظافرك على كفي...

لقد كنت شرسة كنمرة يختطفون أبناءها أيتها الخالة، **(يقلدها)** لا تقل لي خالة، فقط قل لي لويييسااا... ما أجملك يا.. لويييسااا...

(يضع الصورة في مكانها على البيانو، بعد أن يقبلها على رأسها)

آه لقد تعبت...

حسنًا فلأخلد للموت الآن بكل أريحية قبل أن يزعجني أحدهم،

(وهو يلقي ظهره على الكرسي بهدوء)

الآن أعانقك يا ذلك المكان الخالد فى ذاكرتى أبد الآبدين[1]

(فجأة يرن هاتفه المحمول)

ما هذا؟ هاتف محمول أيضًا... **(منتشيا يفرد ذراعيه)** ما أجمل عبور الموت للزمن

(يهز رأسه مدندنًا بنغمة الرنين وينظر في الشاشة، ثم ينتتر فزعا)

أهلا أهلا يا رئيس... لا لم أكن نائمًا... تمام... لقد وضعت كل قطعة من الديكور في مكانها... ماذا؟ أنا؟ لا... ثق تمامًا... لقد تلقيت إنذارك المرة الماضية ونحن نجهز لمسرحية

١ مستوحاة من مسرحية إبليس لمحمود جمال الحدينى

مصرع جيفارا ولن أفعلها ثانيًا.. يا عمَّنا أنت مدير المسرح وأنا لن أخلف وعدي لك.. كلمة شرف... والله لن أفعلها ثانية.. نعم نعم كل شيء كما طلب المخرج تمامًا.. لا لم أفعل شيئًا من عند نفسي... البيانو والمسدس والمنديل والكتب كل شيء كما طلب تمامًا... حسنًا سيدي... ألقاك في الصباح...

ماذا؟ نعم، لقد أتقنت رقصة الفلامنكو تمامًا... مشهد الموت؟ نعم لقد جربته ببقعة الضوء وسيبدو من خلف الستار مدهشًا... نعم سيدي... سأُقتَلُ بشكل رائع لا تقلق...

ماذا؟ اللوحة أمام باب المسرح... لا لم أضعها بعد... حالا سأضعها الآن...

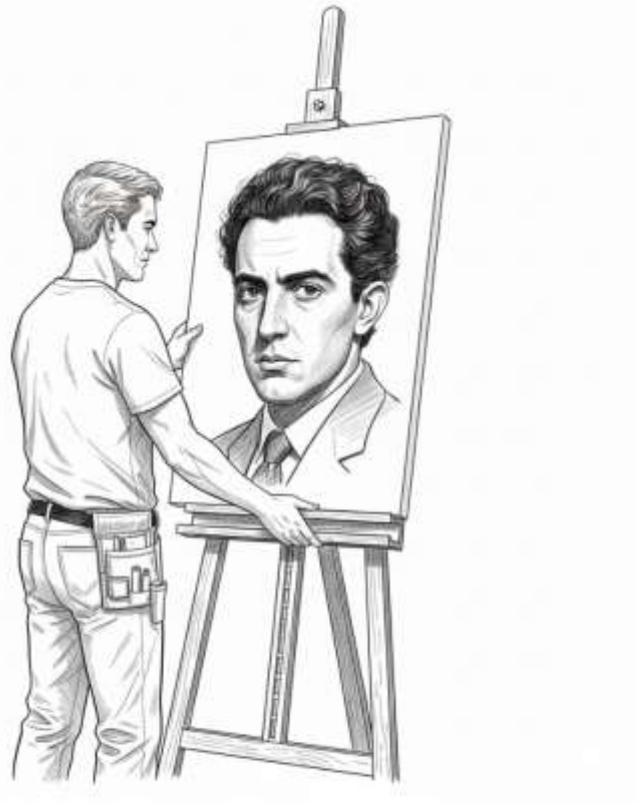
(يبعد الهاتف عن أذنه متأذيا من علو الصوت)

لا تغضب سأضعها فورًا... سيكون كل شيء على ما يرام تمامًا حين تأتي.. لا تقلق...

مع السلامة، مع السلامة

(يخرج مسرعا ويأتي باللوحة إلى أسفل وسط المسرح، يعدلها تجاه الجمهوروهو و اقف أمامها، يظلم المسرح إلا من بقعة عليه، يتحرك من أمام اللوحة المكتوب عليها بخط كبير... مسرحية لوركا)

(إظلام)





رهين كروسّيه

(المسرح مظلم تمامًا، تضاء بؤرة وتظلم على رجل خمسيني بدين أصلع شاربه كبير ومميز، يرتدى بذلة فرنسية تلائم ثمانينات القرن التاسع عشر، مرة يقف متخذًا وضع تمثال ناظرًا للأعلى يمينًا، مرة يتشنج متقلبًا على الأرض، مرة يمسك زجاجة سم، وأخيرًا يمسك رسائل ويعصرها ويرميها في الهواء).

إظلام

(يضاء المسرح خاليًا تمامًا من كل شيء، يدخل الرجل دون شارب، ودون سترة البذلة، وقد أرخى حمالتي البنطال، يجري يمينًا ويسارًا فاحصًا المسرح، يبدو عليه التوتر، ثم يخرج ويعود وفي يده لوحة كبيرة يضعها أعلى وسط المسرح، ثم يخرج ويدخل بكرسي يضعه أمام اللوحة).

(يتامل اللوحة.. ثم يرفع حمالتي البنطال، ويلتفت للجمهور، ويركب الشارب)

لطالما قلت لهم إن اللوحات والتماثيل لا تعبر عن ساكنيها، لم يقتنعوا، اضطرني هذا إلى أن.. **(غامزًا)** أخلو بكل اللوحات التي رسموها من أجلي والتماثيل التي صنعوها على شاكلتي، مرة بحجمي الطبيعي

(يقف على الكرسي يتخذ شكل تمثال و اقفًا وناظرًا للأعلى يمينًا واضعًا يده اليسرى في جيبه)

مرة أخرى تمثال نصفي

(يخبئ نصفه في الكرسي وينظر للأعلى يمينًا)

مرة مجموعة تماثيل صغيرة

(يقف محيَّرًا، ويهرش صلعته)

لا أعرف كيف أفعلها، لأعد للوضع السابق

(يخبئ نصفه في الكرسي وينظر للأعلى يمينًا، ويظل ثابتًا وهو يتحدث بصعوبة شادًّا رقبته)

لا أعرف حقيقة لِم يصورونني على هذه الشاكلة، وكأن رأسي كان يدور على ترس خرب تحرك يمينًا ونظر للأعلى ثم فجأة.. انكسر شيء ما وتوقفت الصورة، لتثبت هيئتي كل هذه السنوات

(يحرك رأسه بيده ليعيدها لوضعها الطبيعي)

لكن.. **(يدور حول الكرسي مفكرًا)** لماذا أستخدم مثل هذه المفردات: الشاكلة مرة، والصورة مرة، والهيئة مرة أخرى؟ اوووه.. لماذا أكرر كلمة مرة؟ يبدو أن هناك خللًا ما، هل يجب عليَّ أن أوحد اللفظ المستعمل؟ أم أحافظ على الشكل المثالي عبر تغيير المفردة بحثًا عن الكلمة المناسبة للسياق المناسب؟!

(يشير بيديه إشارات يمينًا ويسارًا ومتداخلة)

ها أنا أثرثر مرة أخرى في هذه المسألة، وأستخدم اللفظ مكان المفردة.. والكلمة مكان اللفظ.. والمفردة مكان الكلمة.. **(ينفض يديه)** يا إلهي؟ المهم أن هذه الزاوية كسرت عنقي، وجعلتني أبدو أحمق.. على الأقل من وجهة نظري...

(يخرج صورة صغيرة من جيبه ويضع عدسة فردية على عينه اليمنى وكأنه يفحصها، وكأنه يقدِّم نظرية ما)

ربما رأى الرسامون والمثَّالون في هذه الزاوية شيئًا فريدًا فثبَّتوا صورتي على هذه الشاكلة.

أظن أن هذه الزاوية ربما تشير إلى استغراقي الكبير في عمليةٍ تأملية ما، وتعكس شخصيتي العميقة والمتأنية في الكتابة، وربما أعطتني مهابة..

ما هذا إن حديثي يشبه السجع.. كتابة.. مهابة، إنه سجع بالفعل

حسنا.. جميل أن تندمج الثقافات، وتتلاقى الحضارات، وتتفاعل المعارف، وتتمازج المعلومات، وتتزاوج التعبيرات،.. ياللثرثرة ألن أتخلص من هذا الداء أبدًا؟

ما علينا.. كنت أقول... آه.. ربما تعطيني هذه التماثيل مهابة؛ خاصة مع وضعها بشكل مرتفع؛ حيث ينظر المشاهد لأعلى فلا يكاد يلمح صورة كاملة لوجهي، **(مدقِّقًا)** إلا إذا كان طوله **(يقف على الكرسي ناظرًا لأعلى)** خمسة.. لا لا بل أربعة أمتار وسبعة وثلاثين سنتيمتر، أنا واقعي جدا وأهتم بالتفاصيل...

(يهبط خائفا) وربما لأنهم كانوا يعلمون أنني أخاف من مواجهة الناس وأتذرع بحبي للوحدة وبأنني أميل إلى العزلة، ربما اكتشف أحدهم هذا الخوف فأراد أن يجعل وجهي بعيدًا عن متناول عيونهم التي تجرحه بنظراتهم المرتابة.

(منظِّرًا) لا.. لا بل لأنهم خافوا على وجهي من يلطمه أحد مدعي المثالية البرجوازية الفرنسية الزائفة بحجة أنه

ينتصر للفضيلة، هل كلمة الفضيلة في موضعها أم ربما أستعمل الأخلاق أم العادات والتقاليد؟

آه.. البرجوازية شيء لا أستطيع سبر أغواره ولا فهمه.. ما هذا.. ما هذا.. هكذا سيكتشفون أمري ويصلون إليَّ.

إنني أضيع وقتا كثيرًا هنا، يجب علي أن أضع كل شيء بسرعة.

(يخرج ويعود بلوحة لمنزل ريفي صغير طُليت جدرانه بالأبيض، يضعها على الكرسي)

كل شيء بدأ في قرية كروسّيه الهانئة على الضفة الغربية لنهر السين... هناك، في ذلك المنزل الملتصق بالمستشفى، حيث كانت صرخات المرضى تصلني قبل أن تصلني الكلمات.

كان أبي جراحًا، وأمي كانت قلبًا لا يعرف سوى الحب والطاعة. أما أنا... فكنت الطفل الذي نشأ بين جدران

يتناوب فيها الموت والحياة كراقصَين متعبَين، لكنني لم أصبح طبيبًا كما أراد لي أبي.

(وهو يعلق الصورة على الجدار)

لم أستطع، لم تكن الدماء هي ما أخافني، بل الحقيقة التي رأيتها في عيون المرضى، لم تكن جراحهم ما يشدّني، بل حكاياتهم.

كنت أسمعها تتدفق من أفواههم كأنها آخر أنفاسهم، وكنت أؤمن أن قدري ليس إيقاف نزيفهم، بل أن أكتب كلماتهم الأخيرة.

(وكأنه يعلن خبرًا)

أخيل كلوفيس أبي الطبيب الجراح المرموق.. مدير مستشفى روان، أنجبني في منزل ملحق بالمستشفى، تفتحت عيني على المرضى والجثث والعمليات الجراحية. (منظرًا) هذه التجارب جعلتني لا أرى غالبًا إلا جوانب الحياة القاسية،

(يخرج من جيبه مشرط جراحة، متقمصًا دور أبيه)

الكتابة مهنة الضعفاء والمجانين. أنت خُلقت لتمسك المشرط لا القلم **(ترتعش يده، ويلقي المشرط بعيدًا)**.

كان شخصية صارمة ومنطقية وعلمية، لا يرى الحياة إلا من منظور عقلاني آليٍ بحت، حتى الحب كان يعامله كمعادلة رياضية، حتى إنه لم يكن يعانق أمي إلا في أوقات محددة. **(متحسرًا)** لهفي عليك يا أماه.. هاه.. **(فرحًا)**، يبدو أن زيارتي للشرق ما زالت مؤثرة بشكل إيجابي فيما يتعلق **(يفكر)** بدخول.. إدراج.. وضع.. دمج.. لا لا بل تسلل.. هذه هي الكلمة المناسبة.. تسلل اللغة إلى عقلي..

(متضجرًا) لا فائدة البتة سأموت قبل أن أنجز جملة من المرة الأولى، المهم أنني لم أستطع أن أصبح جرَّاحًا، كما أراد مسيو كلوفيس، **(هامسًا)** ولكني لا أخفي سرًا.. لم تدم حسرته طويلا **(ضاحكا ببلادة)** فقد مات وانا ابن خمسة وعشرين عامًا، لكن ما لم يستطع أن يجبرني عليه فرضه

على أخي؛ **(يلتقط المشرط ويضعه في جيبه)** إذ نزع من يده كل شيء، ووضع فيها المشرط.

حقيقة لم يكن أخي محبًا مثلى للكتابة، كان أنموذجًا صغيرًا من أبي، **(يسيركآلة)** جرَّاح.. عملي.. منطقي.. يتحرك في سنتيمترات محددة سلفًا من حياته، **(يتثاءب)** ملاااااال ملل شديد للغاية، لكن عمله هذا كان ينقذني كثيرًا كلما مررت بضائقة مادية

(يشد البنطال لأعلى)

صحيح أنني ابن عائلة برجوزاية مرموقة بالنسبة للشمال النورماندي كله في فرنسا، لكني كنت أحيانًا أورط نفسي في مشاكل مادية، وهو ما كان يدفع أخي لإنقاذي حفاظًا على صورة العائلة مع الدعم الكامل من أمي..

كنت أنحاز بطبيعتي إلى أمي **(بلكنة فرنسية)** آن جوستين كارولين، **(بانكسار)** ياللمرأة الضعيفة الحزينة، إنها تشبه إحدى بطلات العروض الصامتة، تعملُ صباحًا، تقرأ ظهرًا، وتبكي طوال الليل، لم يستطع أحد منا أن يعوضها

فقد أختي، الزهرة التي اقتطعها منجل الموت وهي ابنة سبعة وعشرين عامًا، مخلفة وراءها ابنتها كارولين الصغيرة قلبي الذي يسير على قدمين.. وأمي التي تتداعى للسقوط، أوووه ما الداعي الآن لاستدعاء كل هذه المآسي..

(يخرج ساعة بسلسلة من جيبه)

الوقت يمر.

(يخرج مسرعًا ثم يعود ومعه زجاجة سم ومجموعة حبال، يضعها على الأرض، ويتأمل الكرسي)

لم يكن هذا مكان الكرسي أين كنت سأضعك؟ أين كنت سأضـ... آه تذكرت

(يحمله لأقصى يسار المسرح، ثم يخرج ليعود محملا بمجموعة ثقيلة مربوطة من الكتب، يضعها على الكرسي، ثم يمسك زجاجة السم والحبال ويتجه للكرسي)

هل يكمن الخلاص في الموت، أم إنه مجرد رحلة عابرة لأمر أكبر، ما الذي يمكن أن يدفع المرء إلى أن ينهي حياته بقطرات من الزرنيخ؟

(يفتح الزجاجة)

عجيب أمر هذا الزرنيخ، لا لون لا رائحة، إنه يتسلل للأوصال كما يتسلل العدو الخبيث خلف جدران الروح، مائة إلى مائتي ملليغرام وتَمُر خمس عشرة دقيقة ثم...

(تبدأ موسيقى تعلو بالتدريج يمثل)

يبدأ المرء في القيء، يتلوى من آلام البطن كحَيَّةٍ ابتلعت فيلًا، **(يبدأ في الترنح)** يبدأ في الشعور بالكسل والخدر، تتشنج العضلات ويباغت الإنسان تنميل الأطراف ثم يبدأ هذا السم القاتل في التهام الرئتين والكليتين والكبد والجلد، ثم....

(تسقط من يده الزجاجة، يسقط على الأرض ويبدأ في تشنج عصبي ثم يهمد – تتوقف الموسيقى).

(يهب فجأة شاهقًا – ضاربًا على فخذيه)

ياللمصيبة لقد انسكب السائل على الأرض، وسأضطر لمسحها من جديد، لقد أمضيت صباح اليوم كله وأنا أمسح الأرضية، لماذا أفسد كل شيء بهذه الطريقة؟

(يخرج منديلا من جيبه ويبدأ في مسح الأرض)

أعصابي تالفة جدًّا يجب أن أعرض نفسي على طبيب ما، تساءلت دائمًا عن فائدة الأطباء خاصة هؤلاء العاملين بحقل الأمراض النفسية والعصبية، ما الذي يمكن أن يقدموه لمرضاهم؟

(يربت على الكتب الموجودةعلى الكرسي)

لو أنهم أفلحوا في إنقاذ حيوات الناس من الانتحار لما كان هذا مصيرك يا "إيما"، أعرف أنهم تكالبوا عليك جميعًا أيتها المسكينة:

(يبدأ في ربط الحبال بالكرسي)

"تشارلز" زوجك الطبيب الريفي الممل، ذلك الذي كرَّس حياته للعمل، وتركك وحدك أيتها الزهرة اليانعة، حتى إنه لم يكن يعانقك إلا في أوقات محددة،

(يمسح على الكتب مرة ويعزف عليها أخرى)

لطالما حاولت أن تجريه إلى عالمك المسحور بالقصص والروايات، أن تعلميه إيقاع الرقص على نغمات البيانو، **(يرقص)** لا.. للا.. لللا.. واحد.. اثنان.. ثلاثة.. **(يتوقف)** إلا أنه كان آلة هو الآخر لا يفلح إلا في نهش الطعام نهارًا والشخير ليلًا، يمكن أن تتجسد روحه بعد موته في خنزير بغيض..

إن هذا الأمر يستدعي في ذاكرتي أشياء أنا لا أطيق استرجاعها، لكنها ما زالت تسد فجوات، حاولت كثيرًا من خلالها أن أجد في الماضي شيئًا جميلًا

كيف لك أن تعيشي في منزل ملحق بمشفى؟ تستيقظين صباحًا على الدماء والأنين والقيح والصراخ، أحدهم بتر إصبعه وهو يجز أعناق محصوله بالمنجل..

آخر تنتابه نوبات صرع..

ثالثة ضربها زوجها العنين حتى كسر عظمها وهي مقيدة بتقاليد الرضوخ والاستسلام والتمسك بقيم المجتمع الزائفة، فهي بين خنجرين مثلك تمامًا، إما أن تستسلم لتلك المشانق التي يسمونها عهود زواج، أو أن تترك ساقيها ترتفعان مع الريح وتحطان في مستنقع يسمونه الخيانة، وتسمينه خلاصًا يا إيما.

(يربط الحبل الثاني)

هل وجدت خلاصك إذن مع "رودولف"؟

لم يكن سيئًا في البداية أليس كذلك؟

(ثائرًا وكأنه يحكامها)

لكنه كان يوهمك بالحب أيتها الغبية، ألا تصدقينني؟ لم يكن يريد من الزهرة إلا رحيقها يا إيما، أما أن يرتبط بها في

ميثاق أبدي فهذا هو المستحيل بعينه، لم تكوني في نظره سوى جسد بض وفرصة لتفريغ شحناته العفنة، وها هو يتركك وحدك بعد أن أهداك سلة فاكهة وورقة بها بضع كلمات، أي أعتذار هذا يا إيما؟

أنت تجمعين ثيابك، وتحاولين التسلل تحت ستار الظلام لملتقى فراركما المزعوم، وهو ينطلق إلى باريس مخلفًا سلة فاكهة ثمنًا لشرفك، كم أنت ساذجة أيتها الحمقاء؟

نعم حمقاء لأنك ما زلت تبحثين عن التبر بين الروث، فحتى لو وجدته ستفضحك الرائحة أيتها الشقية.

(يربط الحبل الثالث- هامسًا)

هل كان "ليون" هو قطعة الذهب التي تبحثين عنها؟ حسنًا.. أنت أيتها الحالمة الوديعة كحمل مشرقي في كنف راعٍ مهمل، تعيشين خيالات القصص التي تدمنينها، تودين لو كان لك عش بين جنبات الأوبرا، وتقلدين فارسات العصور القديمة في جموحهن، وتودين لو أصبحت

فينوس جديدة، وليون يعرف من أين تُلتهم الذبيحة كلها لا كتفها

(منفعلا) إنه مجرد مرتعد جبان، لقد عرف هذا الخبيث كيف يشد الحبل في كفيك وأن يجرك خلفه حتى سقطت يا إيما، سقطت كأبخس ما يكون السقوط

ألم تنظري في عيون الفتيات وهن يراقبن جريك خلفه من مكان لآخر؟

ألم يصفع قلبك قولهم إنه ينجس نفسه بعلاقته مع امرأة متزوجة؟

إنهم مثله تمامًا يا إيما، يحبون أن ينهشوا ما تطاله أيديهم لتقطعه أنيابهم وألسنتهم، وربما هم مثلك، لكنهم أكثر حذرًا وحيطة من رائحة الروث التي يخفونها بالعطر الفرنسي الفوَّاح، ويذرُّون في العيون القليل من المال.

(يربط الحبل الرابع)

المال الذي جعلك هدفًا بالغ السهولة لـ"لومير"، أنت تحبين الحياة، وهو يعرف كيف يغرقك في بحره...

تريدين ثوبًا.. يصنع اثنين

لجامًا لفرس، فيصنعه من الفضة أو يطليه بالذهب

تتراكم الديون، وأن تنطلقين كمُهر جامحة لا تود أن تلتفت للخلف، وماذا في الخلف سوى حدود القرية الضئيلة التي تقتطعها فرسة مثلك في ربع نهار.

(يمسح على الكتب، متعاطفًا)

أعرف أنك حاولت تحويل كل هذا القبح الذي تخلفه القرية الخانقة في روحك إلى جمال،

تصميمات فساتين،

مناديل مطرزة،

سجاجيد،

بركة ماء حول الدار،

أنت دافئة جدا ولكن هذه الحياة الفرنسية الباردة لا تعترف إلا بأكوام الثلوج التي يدعونها مالًا ويتقاتلون على

اكتنازها خشية الذوبان؛ لذلك كان يجب محاكمتك يا إيما

(يبدأ في الانفعال، ويشد الحبال عليها بقسوة)

كان يجب أن يحكاموك مثلما حاكموني تمامًا

لماذا أصبح وحدي ضحية أعرافهم المقيتة؟

الناس هنا آليون مثل عقارب الساعات، إنهم أصنام من الشمع يا إيما

(يشد الحبال فيسقط الكرسي على الأرض).

لقد وقفت مدانًا في ساحة المحكمة...

(يشد الكرسي للمنتصف، ويقلب الكرسي كأن أرجله قضبان سجن، ويبدأ في تمثيل المحاكمة)

المدعي العام "بينار"، ينظر لي ساخطًا ويقول: إنني أصور الخيانة بشكل رومانسي بدلًا من إدانتها.. إن كتاباتي

تحتوي على لغة حسية ومثيرة قد تفسد أخلاق النساء.. إنني أنشر أفكارًا تتعارض مع القيم الدينية والاجتماعية، لكن الحقيقة أنني أفضحهم.. هؤلاء الذين لا يسعهم القيام بخطوة واحدة من دون أن يدوسوا شيئًا قذرًا..

أفضح مكامنهم التي يخفونها تحت بذلاتهم الأنيقة وأثواب نسائهن الفضفاضة، إنهم يحدِّثون أنفسهم بكل حرف كتبتُه يا إيما، لكن يحدثونها سرًا، في خفاء تفرضه عليهم طبقاتهم المصطنعة ولكناتهم المستعلية.

إنهم واقعيون جدًّا من الداخل، متلبسون بمسوح الكهنة من الخارج، ولا يعدون في نظري أن يكونوا سوى صور من الدجال..

(جادًّا) لا يهم إن حزت البراءة أو أصابني شيطان القانون بلعنته، ولأكون أكثر دقة، فلأتقمص قليلًا صوت الحكمة.. ربما أستدعي صوت أبي أو أخي

(يمسك المشرط من جديد، مع صوت آلات غرفة العمليات، الرواية بين يديه وكأنه يجري لها عملية)

الرواية الآن فوق طاولة الجراحة.. ضغط المدعي العام بينار بسببها يصل ١٨٠/ ١٢٠.. أتقدم بها لاعتمادها من الناشر، يترك الناشر غرفة العمليات زاعمًا أن الجراحة غير قانونية بالمرة... بعد أن رفضت تعديلاته السخيفة على الجسد السردي للنص.

أنتقل بالرواية إلى وحدة خاصة في مجلة **(بلكنة فرنسية)** "لا ريفو دي باريس"، يستقبلها رئيس التحرير ويفحصها سريعًا، يقسمها أجزاءً ويبدأ بالنشر، بعد عدة محاولات باتجاه الجمهور، يباغتنا المدعي العام بينار ويصدر أمرًا بإيقاف النشر.

(يتوقف صوت الآلات)

لكني لا أستسلم،

محاميَّ الشرس "ماري أنطوان جولي" يقف في وجه إرنست بينار.. كلاهما على الطاولة

البرجوازيون مدعو الفضيلة يطلبون من القاضي دقيقة حداد على روح الأخلاق الحميدة والقيم الفرنسية

(يرتفع صوت الآلات تدريجيًّا)

ما زالت الرواية في منتصف الطاولة.. بينار يقود هجومًا قويًا على الرواية، ويرى ضرورة إيقاف عملية النشر برمتها حفاظًا على الروح الفرنسية..

ماري أنطوان يدافع مستبسلا عن الإجراءات التي أجريتها على الرواية حفاظًا على روح الأدب..

يتبادلان الحجج الأخلاقية بشراسة:

(يغير صوته بينهما)

- الرواية ساقطة..
- لكنها لا تدافعُ عن الفساد..
- الرواية تنسف القيم والعادات والتقاليد..
- بل هي تحليل نفسي لشخصية مدمرة ذاتيًا..
- إنها محاكمة للأخلاق..
- بل محاكمة للأدب..
- إنها تشجع فتياتنا على الرذيلة..

- إنها تنتهي بالمعاناة والموت المأساوي.. فكيف تشجع على الرذيلة؟
- الرواية ستقضي على عفة المجتمع الفرنسي..
- بل هي جزء من واقع المجتمع الفرنسي...

القاضي يتابع باهتمام، المتابعون منقسمون بين الجراحَين.. الطاولة تشتعل من جديد ماري أنطوان يقود هجوما مباغتًا.. يمرر المبضع باتجاه القاضي.. القاضي ينظر في الإجراءات الجراحية لماري أنطوان .. بينار ينسحب من الغرفة..

(يركل الكرسي، يفض الغلاف الخارجي عن الرواية ويرفعها لأعلى)

لقد اقتنع القاضي وخرجت الرواية، وفاتنتي مدام بوفاري تظهر للناس دون خوف من بينار.

(يعود لينصب الكرسي، ويحتضن الرواية ثم يحدثها)

لا أعرف لماذا يحاكمونني أو يحاكموك من الأساس يا إيما، لقد قلت لهم يومها إذا كان هناك فساد في هذه الرواية، فهو ليس من خيالي، بل من الواقع نفسه

إن المجتمع هو من خَلَق إيما، وأنا لم أفعل شيئًا سوى أني حكيت قصتها، لا تطلبوا من الأدب أن يكون مدرِّسًا في الأخلاق، بل دعوه يكون مرآة للحقيقة،

(فجأة) لا لا لا لقد كان أسلوبي حينها وعظيًّا ومنبريًّا أكثر من اللازم كان يجب عليَّ التفكير في عبارات أكثر فنية،

(يقوم ليتجول)

ماذا ينقصنا.. اممم، ويلي كيف أنسى هذا؟

(يخرج ليعود ومعه خرقة يفضها وبها طربوش مصري، وصاجات، ومجسم مسلة مصرية، وحذاء أنثوي وحقيبة مطرزة تبدو منها الرسائل، يرتدي الطربوش ضاربًا بالصاجات، مقلدًا الر اقصات)

لم تعودي الأنثى الوحيدة هذه الليلة يا إيما، فإن مقتنياتي الأنثوية حقيقة كثيرة للغاية



(يحمل الحقيبة متمايعًا في مشيته، فتسقط الرسائل أثناء سيره باتجاه الكرسي، جادًا)

ويلي لقد سقطت الرسائل، ربما ابتلت ببقايا السائل المسكوب

(يضع ما بيده ورأسه، ويجمع الرسائل، ينفض عنه الغبار ويمسحها في ملابسه، ويفتح إحداها)...

(يقلد لويز صاحبة الرسالة)

تقول لويز "لماذا أنت غيور إلى هذا الحد.. أمجنون أنت؟! أية قيمة للحب بدون ثقة وأية قيمة للقبلة دون إيمان"؟

(يرفع رأسه) سؤال.. اثنان.. ثلاثة.. أربعة.. أربعة أسئلة في سطر واحد! يالك من ثرثارة متسلطة يا "لويز"

هل كنت تعملين محققة قبل أن نلتقي

حسنًا الأول: أنا غيور لأنني أحبك

أما عن هل أنا مجنون فحقيقة لا أستطيع أن أجزم بشأن حالتي، خاصة وأنا تنتابني تلك الحالات العصبية التي تجعلني أشعر بتشوش ذهني بغيض أحيانًا، درجة أني لا أملك حينها إلا التحديق في الفراغ .. **(يشهق)** أيكون هذا هو

سبب رسمهم لي ونحتي دائمًا هكذا **(يجسد التمثال ثم يعود لطبيعته)**.

إنني أعاني يا لويز، أعاني من الخوف والقلق، ودائمًا ما أشعر أنني عشت اللحظة الحاضرة من قبل، إن هذا يغيظني فأقطع أوراقي وأستبدل عباراتي، وربما أهدرت عمل أسابيع متصلة في لحظة واحدة.

إنني عاشق للمثالية، وهذا الأمر يدفعني نحو الجنون، لدرجة أنني لا أتحكم في غضبي، وربما انتفضت ذراعاي وساقاي بحيث لا يمكنني إيقافها حتى أخِر فاقدًا وعيي؛ لذا لن أجيبك يا لويز على سؤالك هذا.

(يهرش صلعته)

ماذا كان سؤالها الثالث تلك الثرثارة؟

(يقرأ ببطء)

آه.. "أية قيمة للحب بدون ثقة وأية قيمة للقبلة دون إيمان".. إنها أسئلة ثلاثة يا غبي وليست أربعة؛ فهذان السؤالان واحد، لكنه يفتقر للفنية ويعاني من التكرار.

لقد كررت يا لويز الحرف (ق).. قيمة، ثقة، قيمة.. مرة أخرى؟ عجبًا!، قبلة...

ثم ما هذا؟ القبلة والإيمان؟!

ألم تجدي علاقة أفضل؟

ما علينا سأكتب لها فيما بعد حول هذه النقاط.

(يقرأ وكأنه يخطب)

كيف يمكنك أن توفق بين أفكارك السامية ومبادئك الحرة، وبين هذه الغيرة الطائشة الحمقاء التي تلاحقني بها، وتحاول أن توقعها علي كحكم الإعدام؟!

(يفكر) أممم.. **(ساخرًا)** ربما هكذا

(يعطي الكرسي ظهره وينحني لينظرله من بين قدميه)

هل هذا مُجدٍ من وجهة نظرك؟

(يضع الرسالة على الكتب ويقرأ ويشير بيديه يمينًا ويسارًا وأعلى وأسفل)

إنك إن قتلتني قتلت نفسك، وإن لوثتني لوثت نفسك، وإن فقدتني فقدت عقلك...

حاصل ضرب خمسمائة وأربعة وثلاثين في طول نهر السين نقسمه على محيط دائرة الطربوش المصري الذي جلبته من زيارتي للشرق حين أطلقوا علي اسم أبو شنب ونجمعه على خمس بيضات مقلية ونطرحه من هزتي خصر الراقصة كوتشوك هانم يعطينا....

(منفعلا) الحمقاء.. تظن أنها مصدر إلهامي، وأنني من غير وجودها المستفز الممل لن أستطيع أن أخط حرفًا واحدًا، على الرغم من كونها شاعرة إلا أنها كأي امرأة مستبدة تريد أن تسيطر على روحي وجسدي وقلمي

(يتجه للكرسي) أنت تريدينني أن أكون عاشقًا في باريس، لكنني أريد أن أكون كاتبًا في كروسّيه، هذه هي المعضلة.

(يبدأ في فك الحبال)

أنا أحب العزلة والقرية الهادئة، لا تبحثي عن حرارة العاطفة عندي، بل عن وهج الفكر الذي لا يخبو. أشعر

أحيانًا أن الكتابة هي حبيبتي الحقيقية، فأنا أقضي معها الليالي الطوال، أجهد نفسي لإرضائها، وأطارد الكلمة المثالية كما يلهث العاشق خلف قبلة خالدة لا يطويها النسيان

صحيح أنني أحببتك يا لويز، حتى إن حذاءك الصغير ما زال هنا، **(يبحث عنه بين الأشياء ويحتضنه)**، أستحضر حركات قدميك وهي تنتعله، ثم تملؤه فيغمره الدفء، أحدق فيه بينما أقرأ رسائلك.

كل ما منحتِني إياه حفظته بعناية، حتى رسائلك ما زالت ترقد في الحقيبة المطرزة، أعود إليها حين أحن إليك، أستعيد سطورك كما يستعيد القلب نبضاته

هل تعلمين يا لويز.. إنني لم أكتب لك يومًا رسالة على ورقة من دفتر رسائلي. لم أشأ أن أستخدمه، لأن حوافَّه سوداء مظلمة، وأنا لا أريد أن يصل إليك مني شيء يحمل ظل الحزن. أريد أن أكون لك ضوءًا فحسب، أن أكون نبعًا صافيًا للفرح.

(يعود إلى الرسالة، ويقرأ)

ماذا **(ينفعل)** إنكَ بهذه الغيرة تعلمني الخبث، وتدفعني إلى الكذب، وتسوقني إلى الدهاء، وتزين لي أن أخدعك انتقامًا منك

(يعصرها بين يديه ويلقيها في الهواء)...

حتى أنت يا لويز تريدين أن تخدعيني وتنتقمي مني؟

(يجلس على الكرسي ويبدأ في ربط الحبال حول يديه واحدًا تلو الآخر مع كل اسم يذكره)

كلكن حاولتن ذلك، لست وحدك في هذا يا لويز، فها هي إليزا شوليز ترفض حبي الغامر.. ما المعضلة في أن أكون ابن خمس عشرة سنة وأحبها؟ ألأنها أكبر منى؟ تبًّا لتلك العلاقات الزمنية البغيضة، فلتكتف هي الأخرى بزوجها الذي لا يعرفها إلا في اللحظات الليلية النيئة.

لقد أصبحَتْ عقبة لم أتخطَّها يومًا، كأن كل الحب أصبح مستحيلًا، ثم أتيت أنت يا لويز، لقد أحببتك كما أنت،

رغم أنك تكبرينني بأحد عشر عامًا، ربما أردتُ ان أتخلص من عقدة الزمن فالتجأت إلى حضنك، ثم ها أنت تتركينني وحيدًا في فراق صاخب بعد أن جرعتني مللًا أضفى وجهه المقيت على حياتي المنعزلة البائسة.

ثم جاءت جولييت تلك الغامضة التي دائمًا ما كانت تتعلل بتربيتها لابنة شقيقتي كارولين الصغيرة

ثم كوتشوك هانم وراقصات الشرق، كلكن هكذا.. لا لكني لن أرضخ لكن

(ينفض الحبال، ثم يجمعها، ويشد الكرسي فيسقطه ويجرجره، ويطوف به حول نفسه)

سأفعل بكن تلك الفكرة اللذيذة التي ابتكرها صديقي بيرو في حكايته الخرافية، سأفعل بكن مثل ما فعل صاحب اللحية الزرقاء، سأحبسكن جميعا في غرفة واحدة مقطوعات الرأس والحديث.

إنكن لا تستحققن أن يحبكن مثلي

لطالما تعللت بأني فاشل في الحب، لا أصنع على عيني إلا الفتيات الورقيات في رواياتي، لطالما أخبرتكن في رسائلي أنني أعشق الكتابة أكثر منكن ولذا فأنا أبتعد بقدر ما أكتب، كل هذا هراء...

أنتن من دفعني إلى هذا، **(يبدأ في الترنح من الدوران)** سأمحوكن وألقي بالرسائل، سـ.. سأولمكن للهب.. سـ سـ **(يسقط)** ستنتهي قصتي كما انتهت قصة صاحب اللحية الزرقاء على يد امرأة أخرى

لا.. لا.. بل سأبقى هنا وحيدًا كعادتي أنظر للعالم من هذا القبو الخشبي، كفيلٍ نَهِمٍ يأكل ويشرب ويكتب وينام أو ربما لا ينام

(يستلقي على الأرض، فجأة يأتي صوت المذياع الداخلي، يقف فزعا، يخلع البنطال، ويعلقه مكانه، يرتب الأشياء بسرعة كبيرة، ويخرج ويعود ببوابة التفتيش، ويمسك بالعصا الإلكترونية الخاصة بالتفتيش)

جمهورنا الكريم، في الثامنة تمامًا سيفتح المعرض أبوابه للسيدات والسادة الزائرين.. يرجى التذكير بضرورة الحصول على التذاكر، والحضور إلى المعرض قبل الدخول بوقت كاف، كما يجدر بالذكر عدم اصطحاب الحيوانات الأليفة، أو الطعام، أو الشراب، بكل ود واحترام سيخضع الزوار للمرور من بوابات التفتيش عند الدخول والخروج حفاظًا على المقتنيات.

أهلًا وسهلًا بحضراتكم جميعًا في معرض الكاتب الفرنسي الشهير: جوستاف فلوبير.

يحرك العصا على جسده ليتأكد أنها تعمل.. تصدر صفيرًا حينما يصل للشارب المستعار .. يخلعه ويتلفت يمينًا ويسارًا ثم يدسه في جيبه.. إظلام



اسمى المنسى

اللوحة الأولى:

إضاءة خافتة، شخص يرقد في وسط المسرح ملفوفًا في كفن أبيض بجواره كومة رمل، وبعض الأخشاب، وزجاجة، وسبحة معلقة في الخشب، وكأس، وصبَّار، يقوم ببطء إلى أن يجلس ظهره للجمهور، يحرك يديه داخل الكفن بعنف، في حركة مفاجئة يفتح الكفن.



(يلتف ويمد يديه لأعلى ويتثاءب):

يا الله، ما أقسى الرحلةَ، عظمِي يُوجعني من جريِ القومِ بنعشِي نحو القبرِ، وأشعرُ أنِّي كنتُ على ظهرِ حمارٍ أعرجَ في مضمارٍ ممتلئٍ بالخيلْ، كانوا أربعةً، كنتُ أراهُم طولَ الرحلةِ يثِبُ الواحدُ منهم ضجرًا، ينظرُ آخرُ في ساعتِهِ، أمَّا الثالثُ يتأفَّفُ من حرِّ الشمسِ، وآخر... الأنذالْ.. تركوني في هذا القبرِ وحيدًا ثمَّ انصرفُوا.

آآآآهْ.. مُخِّي يلعبُ داخلَ جمجمتي.. أشعرُ أنِّي.. ماذا؟ أشعرْ! (يضحك ساخرا) يبدو أن عناءَ الرحلةِ من قبر الدنيا للقبرِ الآخرِ في آخِرَتِي أتلفَ رأسِي، كيف سأشعرُ وأنا ميِّتْ؟

(يضحك) كيف سأشعرُ وأنا ميِّــ... **(بفزع)** ميِّتْ؟، يا ويلي، قالَ العارفُ، ذاك الساكنُ في بلدتنا:

إنَّ المرءَ إذا ما ماتَ سيدخلُ قبرَهْ، فإذا انصرفَ القومُ جميعا، يأتيهِ المَلكانِ.. الأولُ يسألُ من ربُّك؟ والثاني يسألُ ما اسمُك؟

يا ويلي كم بقِيَ من الوقتِ ويأتي صوتُ الملكينِ؟ أتُرى سيجيئانِ من الأعلَى؟ **(يجري يمينًا)** أمْ مِن هذي الناحيةِ؟ **(يجري يسارًا)** أم الناحيةِ الأخرى؟ ماذا أفعلُ؟ هل ستكونُ لديَّ الفسحةُ كي أسترجعَ من ذاكرةِ الأيامِ الماضيةِ جوابي؟ آه.. إنِّي أذكرُ قالَ العارِفُ:

(يضخم صوته)

قل يا عبدُ الحقْ.. بلسانٍ طلقْ.. ربِّي اللهْ.

أمَّا اسمِي.. اسمِي.. آه اسمِي المنسي، وأنا.. أنا

ما هذا؟ تُمحَى كلُّ الأشياءِ، كأنَّ خيالًا مرَّ عليَّ فلم أقبضْ أثرًا، وكأنَّ البرقَ أضاءَ لثانيةٍ، ثمَّ انقلبَ الكونُ ظلامًا، **(يمسك بحبات الرمل وتتساقط من كفه)** كنتُ وها أنا صرتُ.

يبدو أنَّ البابَ الفاصِلَ بين ظلامِ القبرِ وبين الدنيا قطعَ الحبلَ السُّرِّيَ لذاكرتي، ما عدتُ أرى من ماضِي العمرِ سوى أشباحٍ تبدو وتغيبْ.. تظهرُ فجأةْ.. تتلاشى فجأةْ، هذي صورةُ أمِّي **(يظهر شبح أمه على الجدار)** لا أذكرُ جُلَّ

ملامِحِها، **(ساخرًا)** وهل لامرأةٍ أخذَ الفقرُ نضارتَها أيُّ ملامحْ؟ لا أذكرُ غيرَ الثوبِ الأسودِ غَلَّفَ عودًا مُعوَجًّا، وشحوبَ امرأةٍ وبكاءً طولَ الليلِ، ورجلاً آخرَ - غيرِ أبي المسجونِ بتلكَ الصورةِ فوق الحائِطِ ممهورًا بشريطٍ أسودَ- يدخلُ بيتَ أبي.. يأكلُ في بيتِ أبي، وينامُ مكانَ أبي، ويصرخُ فيَّ لأتبعَهُ نحو الحضرةْ.

(صوت حضرة صوفية).

إظلام

اللوحة الثانية:

يظهر المنسي مرتديًا كفنه على شكل عباءة، ما زال صوت الحضرة مستمرًا، يتطوح وتومض الإضاءة مع ارتفاع ضجيج الحضرة، يدور ويدور ثم يسقط مغشيا عليه، يتوقف الصوت.

(يفيق، ينشد) الله.. الله.. الله.

أولَى بقلبٍ في الجحيمِ تسعَّرَا... إن تأتِ حالُ السُّكْرِ ألَّا يصبِرَا

فالقلبُ مرهونٌ بحانةِ خمرِهِ... قد باعَ فيهِ الحُبُّ عُمرًا واشترَى

الله.. الله.. الله

(ينهض ويتوجه للجمهور)

سكرٌ؟ أي سُكرٍ أكثر ممَّا أنا فيه؟

قالَ ليَ العارفُ **(يضخم صوته)** حين سألتْ: الصوفيُّ الحقْ.. يسكرُ من ذكرِ الحقْ، فاشرب مِن وِردِ الذكرِ بكفِّ الساقِي، واعصِر من كرْمِ الفانِي خمرَ الباقِي، واتْبَعْ شيخَكَ، واشربْ من كأسِ الكلْ.. تخرجْ من حرِّ جحيمِ الدنيا للظلْ، ولهذا بِعْ نفسَكَ.. لا تبخلْ.

حسنًا.. لم أفهمْ شيئًا

لكن لا ضَيرْ، طوالَ حياتي وأنَا أسمعُ ما لا أفهمُ،

كنتُ صبِيًّا قالَ مُدَرِّسُ فصلِي قل لأبيكَ يفكُّ الكيسَ، وجِئني يومَ السبتِ بكرَّاسةِ رسمٍ مستوردةٍ، لا تنسَ الألوانَ وإلَّا...

قال أبي (**يغير صوته**): كراسةُ رسمْ؟ كراسةُ رسمٍ أم لقمةُ خبزْ؟ يا ولدي قل للأستاذِ اليدُ قصيرةْ.

لم أفهمْ.

لكنَّ مدرسَ فصلِي أفهمني كيف يؤثرُ طولُ اليدِ على أعضائي،

(يعلق خشبة في قدميه مثل الفلقة "الفلكة"، يرقد رافعًا قدميه يستغيث من الضرب)

حين امتدَّتْ يدُه الطولَى بعصاهُ تورّمُ كفيَّ ورجليّ.

(ينهض ويعرج) حين دخلتُ وأمِّي سوقَ القريةِ بعد رحيلِ أبِي، قالَ التاجرُ وهْوَ يزيدُ لأمِّي حباتٍ فوقَ الميزان **(يقلد التاجر)**: أنا زدتُ الميزانْ، يا غصنَ البانْ.

ضحكتْ أمِّي، وارتْ ضحكتها في كفَّيها، ثم ارتجفتْ وسرتْ فيها رعشةُ جسدٍ لم أفهمْها، في عودتِنا كنتُ أحدِّثُها، لم تسمعْ، كانتْ غارقةً في الفكرِ بشيءٍ ما، ثم التفتتْ قالت **(يقلد أمه)**: يا ولَدِي التاجرُ شارٍ.

لم أفهم..

مرَّ اليومُ، وإذْ بالخالةِ تصحبُنِي لأبيتَ الليلةَ بينَ بنيهَا، حينَ رجَعْتُ اليومَ التالِي كانَ التاجرُ يأخذُ حمَّامًا، ويعلِّقُ صورَته في قلبِ الدارِ، وفوقَ الرَّفِّ عمامتُه وعباءتُه والسبحةُ وعصاهُ، ونساءٌ في حجرةِ أمِّي يهمسْنَ ويضحكْنْ، مع عصيانِ الأمرِ الأولِ للتاجر **(صوت صفعة)** فهمتْ.

وحين رأيتُ ...

(يخرج جزءًا من القماش ويلفه حول خشبة على هيئة فتاة- تبدأ الموسيقى الرومنسية)

وتجلَّتْ كي تُخرجَني من ظلمةِ قلبِي نحو النُّورْ، أبصرتُ بوجناتِ البدرِ جنانًا ترقصُ فيها الحورْ، صرتُ أدووووورْ

(حول نفسه راقصًا)

تأخذُني حضرةُ عينيها فأصيرُ مريدًا، تقتلنِي بسهامِ البسمةِ من خلفِ الشيشِ أصيرُ شهيدًا، أنسى الناسَ، السوقَ، المالَ، اللعناتِ المنصبةَ مِن أقرانِ الحيِّ، ونظرةَ زوجِ الأمِّ ولطمةَ خدِّي، أهزمُ خوفِي، ما أجملَ أنْ أهزمَ خوفِي، وأقولُ لنفسِي ما عدتَ وحيدًا، ما عدتَ وحيدًا،

وأزلتُ ترابًا كان يغلِّفُ سطحَ القلبِ، وسرتُ وئيدًا،

كانتْ في أبَّهَةِ الحسنِ.. تسيرُ إلى أطرافِ الشارعِ.. حين التفتتْ (بصوت فيه ميوعة:..) هاااااااااااااااااااااه، ثمَّ ابتسمتْ... هااااااااااااااه... سرتُ، وطرتُ، وجبتُ، وطفتُ، وضعتُ، وعدتُ، ومتُّ، صحوتُ، تأججَّ في عينيَّ الحلمُ، وصارَ نشيدًا،

ثمَّ تمادَي الحلمُ وراحتْ ترسلُ في نظراتِ العينِ بريدًا، (صمت) ثمَّ احتجبتْ، وأنا أرنو للشباكِ وأجهلُ كيف أرى خطواتٍ تقطعُ عرضَ الشارعِ أمرًا محظورًا وبعيدًا...

كان النَّذلُ السَّاكنُ في غرفةِ أمّي، قد أمهرَها واستعمرَها، ذاكَ السافلُ صبَّ كؤوسَ الشهوةِ، أطلقَ دخَّانًا للرغبةِ، يبلغُ حبَّتَهُ الزرقاءْ، هل سيدَفِّيءُ عنَّتَهُ الممقوتةَ حين يراها عاريةً من بين يديهْ؟ **(تتوقف الموسيقى- يصرخ)** لا.. يا هذا الزمنَ الغادرَ يكفِي

كنتُ وحيدًا، يومًا غبَّرتُ الأقدامَ وراءَ الحلمِ، وعدتُ وفِي كفيَّ الخيبةُ، عدتُ وحيدًا، عدتُ وحيدًا، عدتُــ. إلى جدرانِ الدارِ أدُكُّ البيتَ وأطلقُ أبراقًا ورعودًا، أصرخُ، أشتمُ، ألعنُ، ألقي صورتَهُ الشيطانةَ فوق الأرضِ، أدكُّ زجاجَ نجاستِها، أبصقُ فوقَ الوجهِ الدَّاعِرِ، أشعلُ نارَ الحقدِ القابعِ، تصرخُ أمِّي، تبكِي، تنشبُ أظفارًا في ثوبِي، تجثو، تسندُ رأسَ الخيبةِ فوق بكائِي، تلثمُ كفِّي..

يكفِي يا ولدي يكفِي، نحنُ عبيدُ الإحسانِ، وأيُّ مكانٍ سوفَ يضمُّ امرأةً مثلي، مرِضَ الجسمُ وعظمَ الهمُّ، فلا تقتلني في شيبةِ رأسِي ويكونُ مصابِي في زوجِي وابنِي، وتحمَّلْهُ لأجلِي.

ماذا أفعلُ لامرأةٍ تشهِرُ سيفَ الدَّمعِ بوجهِي حينَ الغضبُ الأحمرُ يأخذُ منِّي باللحيةِ والرأسِ؟

لامرأةٍ لا تدركُ جرحي أو تفهمُ حسِّي؟

حين العقلُ يفارق رأسي، ترفضُ كفُّ الحكمةِ مَسِّي، وتخافُ الرحمةُ تهرعُ تدخلُ جوف مساكِنِها كي لا يَحْطِمها فأسِي، كفرتُ بكلِّ معاني الحبِّ، كفرتُ بكلِّ اللحظاتِ اللَّاتي جُبْنَ بقلبي التعِسِ، كفرتُ بأمِّي، وكفرتُ.. كفرتُ بنفسِي.

من تلك اللحظةِ وأنا أتأرجحُ بين الموتِ وبين اليأسِ، من تلك اللحظة وأنا أشربُ من كأسِ الطاعةِ حتَّى لا أفقدَ أمِّي:

اذهبْ.. حاضر/ ارجعْ.. حاضر/ احملْ.. حاضر/ اتركْ.. حاضر/ احفظْ.. حاضر/ ردِّدْ.. حاضر...

حاضر، حاضر، وأنا صلصالٌ تنحتُهُ كفُّ التاجرْ..

أمَّا أمِّي فمجرَّدُ جاريةً تطبخُ لمُريدي العارفِ، تطحنُ لمريدي العارفِ، وأنا طولَ اليومِ بقلبِ السُّوقِ، وحين أعودُ.. أعودُ لأخدمَ بيتَ العارفْ.

(يمسك سبحة طويلة والموسيقى تعلو تدريجيًّا)

كان السعرُ بقلبِ السُّوقِ يزيدْ **(يحرك حبات السبحة)**، وعمري في الأوجاعِ يزيدْ، حولي يصرخُ بطنُ الناسْ، واليَدُ ما زالتْ تقصرُ تقصرْ **(يقصر السبحة بين يديه)**، وأيادِي كلِّ كبارِ القومِ تطولُ تطولُ **(يطيل السبحة)**، تلتفُّ أياديهمْ كمشانقَ حولَ رقابِ الناسْ **(يجعلها كمشنقة يلفها حول رقبته)**، لسانِ الناسْ، ضميرِ الناسْ، وإذا ما التفَّ الحبلُ، ولاحَ الموتُ، واختنقتْ في صدرِ الناسِ الأنفاسْ، خرجتْ صرخاتٌ تسكبُ كأسَ السكرِ، وتذكي نار الفكرِ، ولا تخشى القتلْ، وتقطعُ هذا الحبلْ **(يقطع السبحة)**.

(صمت، إظلام)

اللوحة الثالثة:

يظهر المنسي مرتديًا كفنه على شكل عباءة، يتطوح في حضرة صوفية، جزء من القماش معلق في خشبة، على هيئة رجل فوق كومة الرمل، يمسك المنسي كأسًا ويخرج مسحوقًا يفرغه في الكأس ويسقيها للرجل، يترنح الرجل بين يديه إلى أن يسقط.. يخاف المنسي ويتراجع حتى يلتصق بجدار المسرح، يصبح صوت الحضرة مزعجًا ثم يتوقف فجأة، صمت، يتوجه المنسي نحو الرجل، ينحني كأنه يجس النبض ويرفع يد الشخص ويتركها، يتصنع الحزن)

آهٍ يا شيخِي وأبِي من بعدِ أبي؟ كيف يموتُ عريسُ الغفلةِ **(يتلعثم)** أقصدُ كيف يموتُ عريسُ الليلةِ؟ خادمُ مولانا العارفِ، سرُّ الحضرةِ، تأبَى روحُكَ إلَّا أنْ تخرجَ في قلبِ الحضرةِ، وسطَ الذكرِ وتحتَ عيونِ القطبِ العارفِ، يا للطهرْ، دعوني وحدي مع أستاذِي، شيخِي، وأبي، هذا

النذلْ **(يتلعثم)** هذا النذرِ الصوفيِّ الرمزِ الساكنِ في جنباتِ الطهرْ، دعوني مع هذا الداعرْ **(يتلعثم)** هذا الداعِي للخيرِ ورجلِ البرْ، دعوني مع هذا اللَّوح **(يتلعثم)** اللوحِ المحفوظِ المكنونِ بصدرِ الحضرةِ، هذا الخالدِ هذا الحيّْ.

(يتلفت يمينًا ويسارًا ليطمئن أنه وحده، يركب على صدر الرجل)

هذا الحيُّ الأرقطُ، هذا الكلبُ النجسُ العفِنُ الداعر، ها أنا وحدي أيَّة لطمةِ خدٍّ أخرَى ستسدِّدُها نحوِي.

(صوت صفعات)

من منَّا فوق الآخرِ؟ من منَّا يمسكُ بتلابيبِ الآخرِ؟ من سيسدِّدُ صفعَتَهُ التاليةَ تجاه الآخرْ؟

(يصفعه) هذي من أجلِ أبي المقهورِ وأنت تنامُ على أضلاعِ سريرهْ، تنفثُ سمَّكَ في زوجتِهِ، وتعبقُ أنسامَ الغرفةِ من رائحةِ العفَنِ المختلِطِ بأنفاسكْ.

(يصفعه) هذي من أجلِ المرأةِ.. تلك من اجترأتْ كفاكَ عليها ثمنًا لإضافةِ حبَّاتٍ في الميزانْ، أوتذكرُ **(يقلده)** أنا

زدتُ الميزانْ يا غصنَ البانْ؟ من أجل المرأةِ.. تلك من انتقلتْ من فقرِ الكفِّ لفقرِ الروحِ، وصارتْ خادمةً لكلابِ العارفِ، من أجل بكاءِ الليلِ، شحوبِ الوجهِ، وتدنيسِ الجسدِ المأسورْ، هل تذكرُ يا مسعورْ؟

(يصفعه) هذي من أجلِ حبيبةِ عمري، منذ نعومةِ ظفري وأنا أحفظُ طهري، لم أنظرْ لامرأةٍ أخرى، كانتْ أولَ سفرٍ أقرأهُ بكتابٍ النسوةِ، كانتْ ملحِي، كانت خَمْرِي، ثمَّ أتيتَ لتزهقَ روحي، تطعنَ ظهري، يا ملعونُ ألم تملأْ عينَكَ أمي، أوَلمْ يكفِكَ أنْ تسرقَها منِّي فأخذتَ حبيبةَ عمري؟

(يصفعه) هذي من أجلي، من أجلِ الصفعاتِ المرسومةِ ندباتٍ في وجهي، من أجلِ الدمعاتِ الحرَّى في ليلِ الوحدةِ، من أجلِ الظهرِ المحنيِّ بأجولةِ الحَب.. من أجلِ نخاسَةِ سوقِكَ.. بَيعِ النفسِ وقتلِ الحُبِّ، من أجلي من أجلي **(تتوالى الصفعات)** من أجلي

(فجأة تتعلق يد المنسي في الهواء كأن شخصا أمسكها، يميل للوراء إلى أن يقع

على إليتيه ويزحف للخلف، تتحرك قماشة الرجل)

ماذا؟ كيف صحوت؟ كيف صحوتْ؟ ما بالُ السمِّ بجسمِكَ لم يَسْرِ؟

(يصرخ)

اللعنةْ.. فعلتْها أمِّي.. **(ينادي)** أمِّي.

(إظلام)

اللوحة الرابعة:

يظهر المنسي مخمورًا، قابعًا في أحد الأركان، يعصر الصبارة في الزجاجة، ويصب في الكأس ويسكر مترنحًا، يقف ويهتز ويهذي بكلام غير مفهوم، يعب منها ويضحك بهستيريا.

باللهِ عليكِ أيا حلوةْ كيف استيقظَ هذا اللوحْ، أولم أقتلْه؟ كيف يموتُ ويصحُو؟ أولم يكنِ السُّمُّ كفيلًا أنْ يقتلَ هذا الملعونْ؟ أم أنَّ لنفحاتِ الحضرةِ تأثيرًا ضد السم؟ آآآهٍ يا أمِّي كيف منعتِ الحلمَ الرائقَ أن يتحققْ؟ أتحبِّينَ الذلْ؟ أولمْ تؤلمْكِ فجاجتُهُ وخيانتُهُ؟ أولم تؤلمْك الصفعاتُ على وجهي؟ آآه أيتها الحمقاءْ..

(يشرب ويضحك بهستيريا)

ليستْ أكثرَ حمقًا من أربابِ تكيةِ مولانا العارفْ، حين صرختُ ورحتُ أسابقُ عَدْوَ الريحْ، دخلَ القومُ ووجدوا اللَّوحَ قد استيقظْ، كبَّرَ مأفونٌ منهم، هلَّلَ آخرُ، صارَ اللَّوحُ وليًّا **(يضحك)** اللوحُ وَلِيّ، والآن.. العارفُ.. مولانا العارفُ..

في خِدمتِهِ ليل نهار، مددْ.. مددْ.. مداااااااااااااااادْ، يا دواءَ السُّلْ، وقطبَ الكلْ، وغوثَ الجُل، يا فلْ الفلْ مداااااااااااد، **(يهذي)** مددْ من غيرِ عددْ، مددْ مددْ

(ينهكه التعب).

(ينظر لزجاجته) لم يبقَ سوى أنا وأنتِ، أشربُ منكِ، وتشربُ منِّي الأيامُ الصعبةُ، تأخذُني حاراتُ الغُربةِ، أنظرُ في وجهِ الناسِ:

الشارعُ يلهثُ خلف الفوزِ بلقمةِ عيشِ الذلْ،

أبي المحبوس بتلك الصورةِ يلبسُ خِرَقًا باليةً فوق رصيفِ الشارعِ،

أمي تحملُ طفلًا بذراعٍ واحدةٍ ينشرُها نحو المارّينَ ليطلبَ إحسانًا،

بنتٌ تعكِسُ صورتَها السياراتُ الفارهةُ تبيعُ المتعةَ تعرضُ تفاحَ الخدِّ ورمَّانَ الصدرِ،

ورجلٌ يلبسُ ثوبًا أخضرَ يشربُ من عرقِ الناسِ.. ودمِ الناسْ،

وأنا أركضُ أركضُ لا أحدَ معي..

لا لا بلْ أنتِ معي أيتها الحلوةْ، فتعالَي كي نرقصَ في ليلِ العرسْ، تعالَي نحوِي، **(يحتضنها)** تعالَي في صدرِي

(يرفع زجاجته لأعلى ويعب منها ويعب ويعب إلى أن يسقط).

(إظلام).

اللوحة الأخيرة:

إضاءة خافتة، المنسي يرقد في وسط المسرح ملفوفًا في كفن أبيض بجواره قبضة رمل، يقوم المنسي ببطء، بهدوء شديد يجلس مواجها الجمهور ويفتح الكفن، ينظر يمينًا ويسارًا.

: ما هذَا؟ ما هذا الظلامْ؟ أينَ أنا؟ كيف أتيتُ إلى هنا؟ ما هذا البردُ الساكنُ في أضلاعِي، **(يسند كفيه على الأرض)** ما هذا الرملْ؟ ويلي أين أنا؟

(ينظر إلى أعلى ويزحف متراجعًا للخلف)

: من أنتُما؟ ماذا تريدانِ منِّي؟ ماذا تريدانْ؟ **(يتراجع للخلف)** ما اسمي؟ آآآ.. لا أدري.

(يتراجع للخلف، يمد يديه مدافعًا عن نفسه)

لا أدري، قلت لكمَا لا أدري، لا أدري.. **(يصرخ)** لا أدري

(إظلام).



أحمر.. أزرق

جدران بيضاء مهترئة الطلاء، مرسوم عليها متاهة كبيرة، وعليها صورة الممثل وهو يعالج حيوانًا، يتوسط الخشبة مكتب لامع على شكل جسم ثور ناصع البياض، عليه مجموعة أوراق ومسرحيات، يجلس عليه شاب مرتديًا (بلطو) أبيض، ونظارة سميكة، يتدلى من الأعلى حبل.



(يتوقف عن الكتابة ويقرأ...)

إيـ.. كا.. روس.. إيكاروس

(يرفع رأسه)

هل كانت صدفةً حقا؟

الصدفة هي آخر احتمال يمكن أن يبرر لي ما لا أفهمه، والحقيقة أنني لا أفهم أشياء كثيرة، منها تلك السمكة التي فاجأتني بها زوجتي من يومين **(يمسك ورقة على شكل سمكة)**، لتضعني أمام الأمر الواقع، فأنا عادة أتهرَّب من شراء السمك، وَضَعَتْها على الطاولة، أخذتُ أحدِّقُ في عينها، وأسأل نفسي لماذا رمتْ تلك السمكةُ البائسة نفسَها في أحضان الموت؟

(كأنه عالم رياضيات يكتب معادلة بالنظارة، وهو يعاين السمكة)

قلتُ: بما أنها كانت في البحر، ثم صارت إلى الشبكة، ربما كانت تبحث عن قوتِ يومها، أو ربَّما كان أولادُها الفِضِّيون جياعًا.. **(كأنه وصل للناتج الصحيح)**

إذن هي ضحيةٌ للقمة العيش.

(متباكيًا) فكيف يمكن أن ألتهمَ إخوتي العابرين مثلي من الحياة إلى الموت ليطعموا أبناءَهم؟

(يتمايع) أو ربما أغواها الطعم؛ إذن فهي كبناتِ الليل اللواتي يحببن أن يصيدهن من يملك، أفضل من البقاء في دائرة احتمال الجوع والموت، لهذا يحببن الشبكة.. شبكة الـ هي هي هيييييييه

(بجدية مصطنعة) وربما كانت مناضلة، أرادت أن تبرهن للعالم أن السمك يستطيع أن يتحدى الطبيعة ويفرض نفسه خارج الماء.

(حزينا) وربما هي يائسة فحسب، حاولت الانتحار بالخروج إلى السطح ورؤية وجه الآدميين.

وربما.. ربما هي الصدفة وحدها من قادتها للموت، كالكثير من أطفالنا الذين تهلكهم العربات والقطارات وفقر الدم.

(بتبرم) مرة أخرى الصدفة!

(يرمي السمكة)

المشكلة أنني أكلتها في النهاية، فقد كانت زوجتى عبارة عن مدفع على وشك الإطلاق، أنا أعرف هذا القانون جيدا، تكلم عنه نيوتن ذات مرة، فالقوة كلما كان تأثيرها أكبر على الكتلة زاد تسارع الكتلة، وزوجتي ليست كأي قوة **(يشير إلى حجمها)**، وربما في هذا التسارع تدهس مبادئَها وقناعاتِها **(هامسًا)** وأنا لا قِبَل لي بتلك القوة التي تحتل ثلاثة أرباع السرير.

(ينظر لساعته ويتأفف) تأخرتْ تلك المرأة.. **(بفرح)** فرصة، لأكمل هذه المسرحية التي أرهقتني أكثر من البحث عن أسباب انتحار السمكة أقصد صيدها،

وحقيقة خروج زوجتي هو الفرصة الوحيدة للكتابة.. **(يعد على أصابعه)** فهي تكهرني، وتكره الكتابة، وتكره عملي كطبيب بيطري.. ولا أعرف لم تزوجتني بالأساس.. ولم مكثت معي حتى أنجبنا؟ ولم لم تطلب الطلاق بعد أن حرَّمت نفسها عليَّ؟ وأنا أيضًا لم لم أطلقها وأتزوج غيرها؟ على العموم "البحر واحد ولكن السمك ألوان"، يوووه تبًّا للسمك إنه خلفي حتى في الأمثال الشعبية.

(يجلس ممسكًا ببعض الأورق ليشكل مجسم ثور)

عدتُ يومها من العمل مرهقًا محمومًا تكاد مفاصلي تتمزق، تعاملتُ مع الأمر على أنه دور إنفلونزا وسأنجو منه بعد ثلاثة أو أربعة أيام، ثم ما لبث أن ظهر تورم وألم شديد **(يتلفت يمينًا ويسارًا ويهمس)** بين فخذيّ.

شخَّص الطبيب حالتي بمرض البروسيلا، وهو مرض معروف يصاب به البيطريون، وعلاجه يمتدَّ حوالي شهرين، تعالجت منه ولم أنتكس سوى مرة واحدة، وعلى الرغم من كلام الطبيب حول أن البروسيلا لا تنتقل بالاتصال الجنسي، وأنه لم يتيسبب لي العقم، **(يضرب على صدره كقرد، ويبرز عضلاته)** وقدرتي الكاملة على الاتصال والإنجاب، إلا أنها وجدتها فرصة للتخلص مني بعد تركتُ العمل.

بدأت بالتأفف من كل شيء

(واضعًا يده في خصره يقلدها كأنها "تردح" مغيرًا النبرات) افففففف رائحة عرقك صعبة؟

اليوم كله جالس مع أوراقك؟

مكتبتك أخذت نصف البيت.

اجلس هكذا كالتمثال.. ودع كل شيء في البيت على رأسي.

أي مسرح هذا الذي يفتح أبوابه لأذان الفجر؟

أعطني رقم الفيس بوك.

الله الله! من هذه التي تسلم عليك بحرارة؟ من خيبتها تظنك زكي طرمبات؟

تقصدين زكي طليمات.

هذا فقط ما تفلح به.. قطع المسرح على التمثيل على الأوراق عليك أنت شخصيًّا.. انطق وقل لي من هذه المرأة؟

لا أعرف.. مجرد امرأة طلبت أن تتصور مع المؤلف.

وحينها هبت عواصف الصراخ واللطم والعويل، ثم حملت ملابسها وانتقلت لغرفة الأولاد، فلا نلتقي إلا في الطعام والشجار.

آآآآآه **(يمسح وجهه بقوة فتسقط النظارة، يبحث فلا يجدها)**، مرة أخرى أيتها اللعينة كيف سأكتب الآن؟ يووووه.

(يخلع البلطو، ويتحسس المكتب، ليجد جناحين كبيرين يرتديهما)

الكتابة هي فعل التحليق الوحيد الذي يأخذني من هذا العالم، ليرفعني إلى أحضان الشمس، ولكن كل شيء يعاندني حتى نظارتي الغبية، أين توقفت في كتابتي؟

(يرفع الورقة أمام عينيه ويقرأ بصعوبة، ثم يلقي الورقة ويفرد ذراعيه):

إيكاروس

(يتحرك الجناحان بقوة مع صوت رياح شديدة، تضطرب الإضاءة).

(يصرخ)

أنا إيكاروس بن دايدالوس. نعم.. جئت أحاكمك أيها القذر.. **(يصرخ)** مينوس أيها الجبان المختبئ في قصره، هل هكذا تقابل وفاء أبي دايدالوس لك؟ أهكذا تعاملُ عقله الهندسي البارع؟ إنه أعظم مهندس في المملكة، لا بل إنه أعظم مهندس في الدنيا؛ ولهذا لم تعتمد على غيره في بناء المتاهة.

(يلتصق بالجداروينقلب)

أية متاهة أكبر مما نحن فيه؟ أي جرم أقسى من معاداة الحب؟

هل تظن أن آلاف الصخور التي بنيت بها المتاهة، تقدر على رد نسمة شوق واحدة؟

هل تظن أن الأسوار ستمنع أنغام الحب من اختراق حاجز الصمت؟ إنَّ أي عقاب ستنزله بي وبأبي دايدالوس هو عقاب للحب.

(يتجه للحبل ويتأرجح برومنسية) ليست خطيئة أن يخرِق العالمُ عادَتَهُ مرة.. إنها تجربة امرأة واحدة.. باسيفاي تلك الحالمة الباحثة عن الحب.

(يترك الحبل، صارخًا) أمن أجل امرأة واحدة تجرَّأتْ على سجنك ترمينا كلنا في هذه المتاهة؟!

لو لم تفعلها باسيفاي اليوم كانت ستفعلها أخرى غدًا أيها الطاغية.

هل كان خطأ أن تنزع عن جسدها صورتك المفترسة؟ ورائحتك المتغطرسة؟

(يمسح على رأس الثور/ المكتب بحنان) لعلها وجدت فيه شيئًا من الحب لم تجده في صولجانك وتاجك أيها التافه.

أمن أجل ذلك تروي متاهتك الحقيرة بالدماء المتفجرة من شرايين أعدائك؟ أمن أجل ذلك سكت عن جريمة باسيفاي؟ فقط لأنها أنجبت وحشًا مفزعًا تخيف به أعداءك؟ أم كان عليك كـ "ملك" أن تتغاضى حتى عن

شرفك، طالما يصب ذلك في مصلحتك؟ فانظر إذن ماذا صنع جحودك؟

(تضطرب الإضاءة، مع موسيقى مخيفة متصاعدة يرتدي رأس المينوتور ويركب ذيلًا ليصبح نصف إنسان ونصف ثور، إضاءة)

(وبعد أن يتخذ وضعًا جسمانيًّا مخيفًا كلاعبي كمال الأجسام، ويكشر عن أنيابه، تتوقف الموسيقى، وعلى عكس طبقتها المخيفة يأتي صوته رفيعًا مائعًا وكأنه يحكي قصة أطفال)

هذا أنا.. **(يتجه للثور الأبيض، ويمسح على رأسه)** وهذا الثور هو أبي.. وأمي.. أمي الملكة باسيفاي.. أنا نتيجة هذا الدمج، من لعبة قدرية بين قوتين.. أُلقي بي داخل هذه المتاهة، وإليكم القصة...

يضع إطارًا خشبيًا كالشاشة فوق المكتب.. بصوتي إعلاني وكأنه يعلق على مبارة في حلبة مصارعة

قبل اللقاء المرتقب أعزائي المشاهدين.. نرى الملك مينوس على ركبتيه.. يتضرع للآلهة لتساعده في هزيمة أعدائه.. في المقابل أعزائي المتابعين تطلب الآلهة قربانًا.. مينوس يعدهم بتقديم أعظم قربان في مملكته **(يخرج من الشاسة ويشير للثور)** الثور الأبيض.

(يعود للشاشة.. بحماس كبير، مع صوت جمهور الحلبة، يمسك جرس الحلبة ويقرعه)

مينوس والآلهة على اليمين، وجيش الأعداء على اليسار.. تبدأ الآلهة في مساعدة مينوس.. مينوس يسدد ضربة قاسية لأعدائه.. تشتد الحرب.. مينوس يطلب مساعدة بوسيدون.. بوسيدون إله البحر يقيم الزلازل والعواصف.. مينوس يراوغ.. ويتقدم ويتأخر.. يحرك سفنه وفرسانه.. يتجه لقلب الخصم.. يترقب اللحظة المناسبة.. قوات

الخصم تتراجع أمام ضغط مينوس.. صدر الخصم ينكشف.. يسدد مينوس الضربة القاضية ويحسم الصراااااااااااااااااااااااااااااع..

(يعلو صوت فرحة الجمهور ثم يتوقف فجأة، وبهدوء تام)..

لكنه فجأة قرر ألا يذبح الثور الأبيض،

(يصدرصوتا بفمه يدل على اللامبالاة)

ولتذهب الآلهة إلى الجحيم.

(يعود صوت الحلبة) هنا أيها السادة يجن جنون الآلهة وتبدأ المعركة الكبرى.. **(يحمل الشاشة ويتجه يمينًا)** على الحلبة مينوس ملك كريت العظيم، في مواجهة **(يتجه يسارًا)** بوسيدون إله البحر والعواصف ومعه الآلهة، والجائزة هذه المرة هي... جسد الملكة باسيفاي.

وبينما يستعد مينوس لحرب الآلهة.. تلتف أفروديت من خلف ظهره.. تضع عشق الثور الأبيض في قلب باسيفاي.. تسكن باسيفاي داخل بقرة خشبية لتغري الثور

الأبيض... مينوس يفقد شرفه.. وتنتصر إرادة بوسيدووووون **(يعلو صوت الحلبة، ثم يتوقف فجأة، يلقي الشاشة)** ليكون نتاجَ اللعبة القذرة، **(يشير لنفسه)** وحش كاسر: نصف ثور.. ونصف إنسان.. يتلذذ بلحوم الشبان والعذارى حين تلقى إليه في المتاهة.. هذا الوحش هو أنا.. المينوتور.. **(ينحني للجمهور بحركة كلاسيكية مع صوت تصفيق وصفير)**

(يخلع رأس المينوتور، ويرجع ليتقمص لهجة العالم، وبخبث:...)

أنا لا ألوم باسيفاي في عشقها للثور؛ كم امرأة في هذا العالم تتمنى لو كان رجلها ثورًا أو فحلًا، حينها لن تتردد في ارتداء أي ثوب له، قطة أو نمرة أو حتى.... **(مبتسمًا بخبث يربت بيديه على الثور)**.

(يرتدي رأس المينوتور)

إنه الحب يا مينوس، الحب الذي يتغلغل في العشاق الأسطوريين، فينهزمون رغم دروعهم الحديدية.. برميةِ

حاجب.. أو طعنة رمش.. الحب الذي إن تمكنْ يقتل بلا هوداة، **(يلف الحبل على رقبته)** يقتل.. ويقتل.. ويقتل.

(يترك الحبل) ولكن.. لم القتل؟ أكل شيء في هذه الحياة متعلق بالقتل حتى الحب؟ لماذا يسجنني مينوس في هذه المتاهة؟ ثم يلقي إليَّ بالشابات والشبان من بلاد أعدائه لأمزقهم بين يدي؟ ثم لماذا يحاول الآخرون قتلي دون ذنب؟ أنا لا ذنب لي.. اقتلوا مينوس إن شئتم. إنما أنا صورة متجسدة للمستحيل، بحيرة تعكس ما في العالم من شهوة ونزوة وحب وشر وتضحية، لماذا يقتلونني؟

(يرن الهاتف، يفيق، يخلع رأس المينوتور، ويرتدي البلطو يغلق أزراره بترتيب خاطئ، وهو يجيب:..)

نعم.....

ماذا حدث؟....

حسنًا سآتي على الفور.....

وما الفارق إن أتيت أنا أو زوجتي؟.....

هي ولية الأمر في الأوراق؟! اسمح لي أن أقول لك، خذ هذه الأوراق وضعها....

وماذا أفعل لك زوجتي لم تعد بعد...

حسنا حين تعود سأخبرها...

مع السلامة.

(بصوت ساخر بحاكي: هي ولية الأمر) هي ونية النن.. يلعن....

ما الذي يريدونه في المدرسة؟ أولادي لا يصنعون المشاكل. يمرون أمامي كل يوم مثقلين بهذه الأحمال التي كنت أحملها يوميًّا لمدرستي الكئيبة.

أذكر جدرانها الصفراء التي كانت تعلو من الداخل بمرور الأعوام، بينما يطمرها تراب الشارع من الخارج لتبدو قزمة بين جيرانها من الأبراج الأسمنتية الشاهقة.

يتجدد إحساسي بالقهر كلما تذكرت ذلك الولد القروي الذي يحمل ملامحي القديمة، ملابسه غير المهندمة، حقيبته المكتظة، كتبه التي أحنت ظهره.

(يضع رأسه على المكتب وكأنه تحول إلى مقصلة ويمد يديه واحدة تلو الأخرى)

رأسه الذكي الذي وضعه مدرسوه على المقصلة، آه.. مدرس الرياضيات.. كنت أكرهه ويكرهني...

(يقلده ويخنف صوته) ٩ x ٤؟

لا أعرف. **(صوت ضرب.. يتألم)** آه.

(يقلده) ٨ x ٥؟

لا أعرف. **(صوت ضرب.. يتألم)** آه.

(يقلده) أنت عجل في شكل بني آم.

لا أعتقد أن لي ذنبًا في عجزي عن مجاراة الأرقام. كان إيقاعها سريعًا على فهمي.

أقف أمام نفسي بعد كل هذه السنوات، لأجدني مجبرًا على محاولة الدفع بأولادي إلى مدرسة خاصة، كي يولدوا بعيدًا عن تراب الزمن القديم.

حين ذهبت لمدرستهم أول مرة رأيت على سورها معادلة تقول **(يتقمص دور عالم الرياضيات)**

الإنسان = العوامل الوراثية + البيئة + تفاعل العوامل الوراثية مع البيئة

فاختر لطفلك البيئة الصالحة تضمن ثلثي المعادلة

(يعود لطبيعته) يومها قررت أن أصعد وحدي على مقصلة التكاليف الباهظة، والأقساط المتتالية، كي لا يكبر أبنائي منتظرينَ دورَهم ليسلموا رقابهم للمقصلة.. ربما يتخلصون من تأثير (جيناتي) السارية في أجسادهم؛ فتصبح إنسانيتهم مكتملة، من يومها وأنا على المقصلة

(يبدأ في مد يده اليمني، ثم اليسري، ثم وضع رأسه في المقصلة)

والحياة تشد وثاق يديَّ من الخلف، وتحني عنقي، وتحكم الغلق، لتتلذذ بدمي.... شفرة المقصلة

(صوت مقصلة، يعقبه صمت، يقطعه صوت رسالة في الهاتف، يجلس ويتحسس حتى تقع يده على النظارة).

(يقلب في الهاتف، ثم يلقيه ضجرا)

ما هذا؟ رسالة جديدة!، **(يقرأ...)**

افتح عينيك جيدًا يا دكتور...

حاضر **(يحك عينيه ويعود للنظر في الهاتف)..**

من أجل توسلات زوجتك وخوفي على أولادك فقط أنا أؤجل قرار فصلك، لكن لا تعتمد على ذلك كثيرًا.. ولا أريد أن أذكِّرك بواجباتك كطبيب بيطري في المجزر الرئيسي للمدينة... المدير العام.

(يقلد كلمة المير العام بسخرية) أنونين النان.. **(يلقي الهاتف)** أنفه سيخرم الشاشة.. يلعن.....**(يكمل السباب مايم)**

لماذا لا يفهمون أنني لا أحتمل الدم؟

قدَّمتُ استقالتي فلم يقبلوها. تغيَّبت عن العمل ولم أُفصَل. لم يصرُّون على قتلي؟

قلت لهم لا أريد أن أحمل بيدي سكينًا أنخر بها جسد تلك الذبائح المستسلمة. لن أعمل في المجزر مرة أخرى.

كل ما أستطيع حمله **(يحتضن قلمًا كبيرًا)** خشبة كالتي يحملها الرعاة الزاهدون، ليست عصا لأضرب بها وجوههم القاتلة، وليست منسأة تدلهم على موت قلبي؛ وليست صليبًا أضعهم جميعا عليه عراة كما أراهم الآن.. ولكن ربما سأضعها في عيني فلا أرى قذى الوحشية والهمجية في عيونهم، لعلها تعميني فأرتاح من وجوههم القذرة قليلا.

ليتك لم تفعلها يا أبي، **(لنفسه)** هل كان ذلك بدافع حبك لي؟ أم قراءة للواقع الذي لم أستطع أن أراه بعينيَّ الضعيفتين؟ **(صائحًا)** أخبرتك أنني لا أريد هذه الكليَّة، أنا أحب المسرح، وأريد أن أصبح مسرحيًّا.

(موسيقى صعيدية، ناي ودف، يتجه للحائط، يرتدي جلبابًا صعيدية، ويضع

شالًا على كتفيه ويمسك بعكاز متقمصا دور الأب):

وبعدها؟ تمثل المسرحيات على الرصيف؟! انظر حولك، المسرحيون يموتون شحاذين، لا أحد يعرفهم أو يسمع بهم، يتسولون حينما يمرضون، يناضل أصدقاؤهم من أجل أن تدفع الدولة لهم ثمن جلسة علاج كيميائي واحدة، ثم يُدفَنون، وتُدفن معهم أعمالُهم، وربما سُجنوا أو شُرِّدوا أو عُذِّبوا، قليلون جدًا يا ولدي من نجوا بسفينة المسرح هذه، فلا يجرفك الطوفان، وانتبه للُقمة عيشك، وقدِّر تعبي عليك، ألم يكفك أنك فوَّتَّ بدرجاتك هذه كلية الطب وكلية الصيدلةّ؟ تخرَّجْ في الطب البيطري، واحصل على لقب دكتور ثم افعل ما شئت

(يلقي بالشال ويمزق الجلباب، ويذهب ليرتدي البلطو والجناحين).

وتخرَّجتُ، وعملتُ طبيبًا بيطريًّا.. لكنني لم اترك الكتابة.. جاء تعييني في مجزر البلدة، تَرِدُ إلينا يوميًّا عشرات الذبائح، **(يتجه للجدار ويلطخه بلون أحمر)** مجزر يدويّ

همجي، نسينا فيه كل ما تعلَّمناه في الكلية أو حتى في خطبة عيد الأضحى، يثور الدم هنا وهناك، تتناثر الأرواح الصاعدة إلى السماء، يمتلأ المكان بضباب من دخان الجثث المترامية،

(يمسك رأس المينوتوريحدثه)

إنهم يذبحونها وقوفًا، لا بل يطعنونها في رقابها وليس ذبحًا، لا يدعونها تشرب، لا يسلمونها للقِبلة، لا يذكرون اسم الله عليها، الشيء الوحيد الذي ترضخ له تلك الكائنات العاجزة هو الشفرة الحادة، وحين تقاوم قد يكسرون أقدامها، أو يقطعون أوتارها، أو يجرجرونها نصف مذبوحة إلى السلاسل، ثم تنبعث الروائح الكريهة التي تثير حساسية أنفي حتى أصبت بالتهاب مزمن في جيوبي الأنفية،

(يعطس ويعطس، فيسقط الرأس من يده التي يتقطر منها الدم، يرفع رأسه ويرى الدماء في يديه، يتراجع للمنتصف في خوف، يخفق الجناحان بقوة)

لست أنا من قتلك.. إيكاروس لا يقتل أيها المينوتور.. **(صارخًا)** سيثيوس هو من قتلك، لقد تسلل لقلب أريادني ابنة مينوس، أحبها وأحبته، كان هدفه ان ينتقم من مينوس، وأن يخلص الناس من بطشه، فأوقع ابنته في شبكة حبه.. كي يقتل الوحش الذي يخيف به أعداءه.. لم أقتلك أنا أو أبي.. كل ما فعله أبي أن أعطى أريادني حبلًا كي تنقذ حبيبها سيثيوس كيلا يضيع في المتاهة... إنه الحب من قتلك.

(يمسك بالحبل ويربطه حول عنقه)

لا، لا تقتلني بجريرة أبي، لقد استسلم عجزًا أمام قلب أريادني.. أمام نظرة عينها لقاتلك المحبوب، لا تنس أن أبي كان من أهم أسباب وجودك، هل تعرف من الذي صنع البقرة الخشبية؟ إنه أبي.. لولا أبي ما جئت إلى الدنيا.. أنت لست وحشًا.. لستَ وحشًا، إنما أنت لوحةٌ طبيعيَّةٌ جميلةٌ للحب، لا تتخلَّ عن طبيعتِك، لأجلِ ما الافتراس،لا، لا تفعل أكاد أموت... لا...لا.... لا.

(يطرق الباب بقوة، يتخلص من الحبل ويسقط على الأرض)

أخيرا جاءت تلك المرأة، لعلها لن تفاجئني بوجبة سمك أخرى، هذه المرة لن أفكر في الأسباب التي ساقت السمكة للموت، بل سأقول إن السمك كائنات غبية تستحق ما يجري لها.

(يتجه للباب، يلتقط مظروفا ويفتحه متجها للجمهور، موسيقى حزينة مؤثرة، يجلس تحت رأس المكتب، ويقرأ- يمكن أن تؤدى بصوت أنثوى من الخارج):

"ربما تظنني جاهلة، لكن لأنمق أسلوبي.. ربما أعجبك ولو مرة، لقد تعبتُ من محاولاتي الفاشلة لتغييرك، تكفيك مسرحياتك.. تلك التي تفتح بابا في حياتك للجميلات.. أنت لا تهتم لأي شيء في الحياة سوى نفسك.. مثل أي مجنون ينام على الرصيف.. يضع ساقًا على أخرى وينفث دخانه في وجه العالم، أنت تريد أن يدَعَكَ العالم مندفعا كالبرق،

منطلقًا كغزال بريّ، ولكن أين أنا وأولادك في حياتك السخيفة تلك؟ لا تبحث عني ولا عن أولادك".

(تمتد الموسيقى، يقوم، يرتطم رأسه برأس الثور، تتوقف الموسيقى فجأة، يمسك رأسه متألمًا)

آآآآآآآآه.. باسيفاي بنت الكلب.. أعجبها ثور آخر **(يضحك)**

(صوت رسالة، يمسك الهاتف)السيد مممم الكاتب المسرحي المحترم ببالغ التقدير يسرنا أن نحيطكم علمًا **(يقرأ بلهف وتتسع فرحته)** بفوز مسرحيتكم في المسابقة الكبرى، ويسرنا دعوتكم لحضور حفل التكريم، مع إرسال رقم حسابكم البنكي لتحويل الجائزة، والبالغ قيمتها **(تختفي الابتسامة من وجهه)**... ماذا؟ كم؟؟؟؟

(يقهقه بشكل هستيري، ثم يلقي بالأوراق من على المكتب أرضًا، يركلها بقدمه، ويمزقها، ويثقبها بقرن الثور، ويكسر قلمه وينثر حبره على الجدار). إظلام



- كاتب مسرحي، وشاعر، وباحث.
- له عدة مشاركات في لجان تحكيم مسرحية وشعرية دولية ومحلية.
- عمل مدققًا ومدربًا لغويًا للفرق المسرحية، والمشروعات المسرحية القومية كمشروع ابدأ حلمك المسرحي بمصر، وأبطال من بلدنا.
- محاضر مركزي بالهيئة العامة لقصور الثقافة المصرية.
- قُدِّم له العديد من الأوبريتات بمصر والمملكة العربية السعودية، والعديد من الأغاني، والدراسات الأدبية المنشورة حول المسرح والشعر بمصر وكندا وتركيا والولايات المتحدة والسعودية ولبنان، والسودان والمغرب وغيرها.
- له عدد من المسرحيات الموجهة للطفل والمسرح التوعوي، والأشعار المسرحية، والإعدادات المسرحية.
- له العديد من الأعمال المسرحية والإصدارات الشعرية الحائزة على جوائز دولية ومحلية:
  - جائزة الأمير عبد الله الفيصل للمسرح من المملكة العربية السعودية، عن مسرحية البيدق الأخير.
  - جائزة الشارقة للإبداع العربي فرع المسرح، عن مسرحية العابر.
  - جائزة البردة (دورتين) من الإمارات العربية المتحدة.
  - جائزة أحسن نص مونودراما بالمهرجان الثقافي الوطني للمونولوج والفنون المسرحية، الجزائر.
  - جائزة مهرجان ألتيسيرا الدولي للمونودراما من تونس، عن نص مونودراما راقص الفلامنكو.
  - جائزتين للتأليف المسرحي من مهرجان شرم الشيخ الدولي للمسرح الشباب، عن نص سوناتا الجناح، ومونودراما راقص الفلامنكو.
  - قُدِّم له عدد من نصوصه المسرحية على مسارح الهيئة العامة لقصور الثقافة، والمسرح الجامعي.
  - حصل على عدة جوائز شعرية من المغرب وقطر وفلسطين.
- له إسهاماته في إصدارات المهرجانات المسرحية الدولية والمحلية في التحرير والديسك المركزي.
- تم تكريمه من العديد من المؤسسات والهيئات الدولية والمحلية.
- في ٢٠٢٠م صدر عنه كتاب من أكاديمية الشعر العربي بالمملكة العربية السعودية.
- في ٢٠٢٢م تم ضمه إلى موسوعة أطباء شعراء العراقية.
- في ٢٠٢٠ -٢٠٢١م تم إصدار نسختين لجائزة شعرية تحمل اسمه.
- في ٢٠١٥م تم ضمه إلى موسوعة أعلام أسيوط التي تصدرها جامعة أسيوط في مجلدها السادس.

الفهرس

